اذار سنة ١٨٦٦

الشهر الثالث السنة الاولى

الجزء الثالث

من النبذة المنتخبة من تاريخ يوسيفوس بن كربون اليهودي
بقلم

الفقير يوسف الشلفون
عفي عنه

BRITISH MUSEUM

طُبع في المطبعة العمومية في بيروت سنة ١٨٦٦

15

145 99. d. 1. ٤ ٦ ٧٤ 84.3

الكتاب الثالث

للشراكة الشهرية في بيروت

يظهر كل شهر مرةً

ثمن الاشتراك بها عن سنة كاملة سلفاً

الي بيروت وجبل لبنان	٥٠ غرشاً
الى بقية الجهات	٦٠ غرشاً

باضافة اجرة توصيله لمحله

الذي يرغب الاشتراك فليعلن اسمهُ الى مكتب المطبعة العمومية

في بيروت

اذار سنة ١٨٦٦

الشهر الثالث السنة الاولى

الجزء الثالث

من النبذة المنتخبة من تاريخ يوسيفوس بن كريون اليهودي

بقلم

الفقير يوسف الشلفون

عفي عنه

BRITISH MUSEUM

طبع في المطبعة العمومية في بيروت سنة ١٨٦٦

الجزء الثالث

في ذكر خراب بيت المقدس

قال صاحب الكتاب لما علم تيطس باختلاف اهل المدينة ومحاربتهم بعضهم لبعض عمل على ان يتقدم الى الحصن ويدبر في هدمه وامر اصحابه ان يوطوا ويهدوا ما حول المدينة ويزيلوا المعاثر من الطريق ويطمروا الابار والوهدات والحفران لتسهل لهم الطريق ولا يعوقهم شي ففعلوا ذلك واما اليهود فاشتغلوا بالحرب التي بينهم وغفلوا عن امر المدينة وذلك ان شمعون والعازر اتفقا على محاربة يوحانان وكان يوحانان قد ملك القدس مع ستة الاف واربعماية رجل من الشجعان الابطال وكان مع شمعون عشرة الاف رجلا وخمسة الاف من آدوم وكان الكهنة واكثر اهل المدينة مع العازر وحصل بقية الناس بين هولاء الثلاثة باسوء حال لانهم استولوا على الناس وتحكموا فيهم بما ارادوا وكان هولاء الخوارج اذا راوا القوم قد قوي امرهم رفعوا الحرب من بينهم واتفقوا باجمعهم على محاربة الروم الى ان يدفعوهم عن المدينة ثم يعودون بعد ذلك

فيحارب بعضهم بعضا فجرى امرهم على هذا اياما كثيرة

ثم ان تيطس وجه بصاحب لهُ يقال لهُ تيكانور ليخاطب اليهود بالجميل ويدعوهم الى الصلح ويعدهم بالاحسان فلما خاطبهم بذلك رماه بعضهم بسهم فقتلهُ فغضب تيطس واحضر الكبش الحديد وغيره من الالات ليهدم الحصن وصنع ابراجًا عظيمة من خشب توازي اسوار المدينة وتحتها بكرات تدفعها الرجال وتصعد عليها المقاتلة فوقها فيقاتلون من فوق فلما راى اليهود ذلك قلقوا واصطلحت الخوارج وخرجوا الى الروم فحاربوهم حروبا عظيمة واحرقوا الكبش والالات وتلك الابراج التى تحصن الروم فيها وقتلوا من الروم جماعة وابعدوهم عن الحصن ثم عادوا الي المدينة وعاد العازر وشمعون الى محاربة يوحانان واتصلت الحروب بينهم وقويت واشتغلوا عن الروم وعلم تيطس بذلك فاعاد الكبش وامر ان يدفع على السور الاول فدفع فوقع من السور جانب كبير فهرب من كان داخله وانحازوا الى السور الثاني فامر تيطس اصحابه ان ينقلوا ما سقط من حجارة السور الي البعد وان يوسعوا تلك الثلمة ليتمكنوا من القتال ففعلوا فلما نظر الخوارج الى السور قد

١٥٥

انهم جددوا الصلح وتعاهدوا على ان يرفعوا الحرب من بينهم وينتصبوا لمحاربة الروم ففرقوا اصحابهم على جهات المدينة ليحفظوها وجعلوا كل فريق منهم في جهة واشتد القتال بينهم وبين الروم وجد الجميع في الحرب والتحمت المقارعة لان تيطس تولى ذلك بنفسه واقبل يشجع اصحابه ويعدهم بالصلات، والاموال وشجع ايضا روساء الخوارج اصحابهم ونادي شمعون في عسكره بان من انهزم قتل وانهدم منزله ونهبت امواله ولما راى تيطس قوة امر شمعون واصحابه وثباتهم عدل الي الجهة التى فيها يوحانان لانها كانت واطية معتدلة فقاتلهم اياماً ثم دفع الكبش على السور الثاني فانهدم حاجز عظيم وتبادر اليهود الي المواضع التى تهدم فوقفوا عليها وصدوا الروم عن الدخول الي المدينة وحاربوهم اشد حرباً وابعدوهم الي خارج الحصن الاول وقتلوا جماعة منهم واقام اليهود على هذه الثغرة يحفظونها ويقاتلون الروم اياما فلما كان اليوم الرابع ورد الي تيطس عسكر كبير من امم اجتمعت اليه فازداد بهم قوة وخرج اليهود لمحاربة الروم على عادتهم فلم يكن لهم عليهم طاقة وغلبهم الروم وانهزموا وعادوا الى الحصن وغلقوا الابواب

ذكر استدعا تيطس اليهود الى طاعته وما خاطبهم به
يوسف بن كربون اذ امره بذلك تيطس

قال لما انهزم اليهود في هذه الكرة امر تيطس ان يرفعوا الحرب وامسك عن قتال اليهود خمسة ايام واراد ان يبالغ في ملاطفتهم ويجتهد في سياستهم ويدعوهم الى مسالمته والرجوع الى ما كانوا عليه من طاعة الروم لانهُ كان يشفق عليهم ان يهلكوا وعلى المدينة ان تخرب ولا يريد شيئًا مما جرى فراسلهم بالجميل ودعاهم الى مسالمته فما استجابوا الى ذلك فلما كان في اليوم الخامس ركب تيطس وجا الى قرب الحصن فوجد يوحانان وشمعون واصحابهما قد خرجوا من المدينة ليحرقوا الكبش وغيره من الالات التى صنعها الروم لهدم الحصن فلما راهم تيطس ابتداهم بالسلام وخاطبهم باحسن من الكلام ثم قال لهم قد رايتم ياقوم ما جري من هدم هذين السورين وانما بقى سور واحد وليس يتعذر هدمه وقد علمتم انكم لم تنتفعوا في هذه المدة بكلما فعلتموه وكذلك لا تنتفعون ايضا بدوامكم على ما انتم عليه من مخالفتنا فارجعوا اذا عن ذلك قبل ان اهدم هذا السور الباقي وافتح المدينه بالسيف فاهدم الهيكل واخربه وان كنت لست اختار ذلك ولا اريده وان عدتم

الي طاعتنا كنا لكم على افضل مما عهدتموه منا ودامت لكم السلامة وزال عنكم ما أنتم فيه من المكاره ولما فاوضهم تيطس بهذا الكلام وما شاكله اوعز الي يوسف بن كربون ان يتقدم الى الحصن ويخاطبهم ويبلغ الغاية في مناشدتهم ويستدعيهم الى طاعة الروم ويبذل اليهم من الايمان والعهود الاكيدة ما يثقون بهِ ويطمانون اليه فمضى يوسف حتى وقف قدام الحصن مقابل باب المدينة بحيث يسمع القوم كلامه ثم قال لهم اسمعوا يامعشر بني اسرائيل ما اخاطبكم بهِ فانى انما اخاطبكم بما ينفعكم ويعود الي صلاحكم ان قبلتموهُ . اعلموا ان محاربة الاعدا ومقاومتهم كانت تحسن بكم حين كانت بلادكم عامرة وعساكركم متوافرة واحوالكم مستقيمة واما بعد ان بلغتم الي هذه الحال من خراب البلدان وقتل الرجال وذهاب النعم واختلال الاحوال فكيف تطمعون في مقاومة هذه الامة العظيمة القوية التى قهرت الممالك والامم واستولت عليهم وطحنتهم وعلي اى شي تعتمدون وبماذا تنتفعون فان قلتم اننا نعتمد على الله عز وجل ونرجوا منه ان ينصرنا كما جرت عادته مع ابائنا فيجب ان تعلموا ان الله هو الذي سلط هذه الامة عليكم لسوء اعمالكم ورداوة افعالكم وكثرة ذنوبكم لانكم ارتكبتم المحارم

واستجزتم الماثم والجرايح واستسهلتم الكباير والعظايم وسفكتم الدما
واغضبتم اله الارض والسما واهلكتم النفوس ونجستم هيكل الله
القدوس وقتلتم كهنته وصلحاه امته ظلماً وعدواناً فكيف ترجون
الله عزوجل للنصرة والمعونة مع هذه الافعال القبيحة والله سبحانهُ
لاينصر من عصاهُ وخالف شرايعه وتعدى حقوقه واحكامه وانما
يعضد من اطاعه واتقاه ورهب تعدية شرايعه وان كنتم ايها الاخوة
تتكلون على الحصون والعدد والجيوش والعساكر فقد علمتم ان
جميع ذلك قد ذهب اكثرهُ ولم يبقَ منهُ الاَّ القليل وهذه المدينة
قد هدم السوران من اسوارها ولم يبقَ غير سورٌ واحد وهم مجدون
فى هدمه وانتم كل يوم في تناقص وضعف وعدوكم في زيادة وقوة
فان دمتم علي ما انتم عليه تلاشيتم وهلكتم عن اخركم ولم يبقَ منكم
باقية وان قلتم اننا نختار القتل اولي من الذل في طاعة الامم والازعان
لهم فقد علمتم ان ابراهيم واسحق ويعقوب وهم المتقدمون في ابايتا
واصولنا والسادة الذين يجب علينا ان نقتدي بافعالهم ونتشبه
بهم لم يمتنعوا من مسالمة الامم الذين اقاموا بينهم ولا انفوا مداراتهم
ولو كان ذلك امرًا مكروهًا لقد كان اوليك السعدا اولى بكراهيته
منكم والمتقدمون منا ايضا قد اطاعوا المصريين اوقاتا كثيرة

واطاعوا ملوك الموصل وملوك العجم ثم اطاعوا ملوك اليونانيين
الذين جاروا عليهم واسوا اليهم وصبروا على ظلمهم لهم الي ان اذن
الله تعالى بخلاصهم منهم ثم اطاعوا بعد ذلك ملوك الروم الى هذه
الغاية ولم يروا في طاعتهم لهم نقصا ولا عيبا وكذلك انتم اذا اطعتموهم
لم تضركم طاعتهم ولم تنقص بقدركم كما لم تنقص بقدر من تقدمكم
وذلك اولى بكم من ان تقيموا على معصيتكم وتثبتوا على مخالفتكم
فتعرضوا انفسكم للهلاك وبلادكم للخراب..

ثم تحصلوا بعد ذلك في اضعاف ما تكرهون من الذل
ولا يعذركم احد ولا يحمد رايكم ومع ذلك فان الروم ما زالوا
محسنين اليكم محبين لكم وهم الذين كفوكم امور اعدايكم
اليونانيين وازالوا سلطانهم عنكم واعانوكم على كثير من الامم
الذين كانوا يحاربونكم حتى غلبتموهم وقهرتموهم فانتم اذاً اولي
بطاعة الروم ومحبتهم من معصيتكم وبغضتكم لهم وقد علمتم
ان الله عز وجل جعل لكل امة دولة وزمان وسلطها فيها
وبسط يدها فاذا انقضى ذلك الزمان زالت دولتها وكف
سلطانها وبطلت سطوتها حينيذٍ تذل لغيرها وتخضع لمن
كان يخضع لها فانتم ايضاً قد كان الله سبحانه جعل لكم دولة

وسلطكم على من سواكم وملككم اعناق غيركم مدة من الزمان
ثم نقل المملكة والرياسة عنكم الى من اراد وسلطهم عليكم فمتى
خالفتم مراد الله عز وجل وابيتم ما حكم بهِ عليكم هلكتم وما
نشك ولا نرتاب في ان الله عز وجل رفع الروم وجعل لهم
سلطانا في هذا الزمان لانهُ تعالى شانه قد اذل لهم الممالك
وظفرهم بالامم حتي اطاعهم ساير جهات الدنيا ممن هو اشد
منكم باسًا واقوي سلطانا واكثر عددًا وكيف تظنون انكم
تغلبونهم وانتم ترون اقبالهم ومعونة الله لهم وترون انفسكم
بخلاف ذلك وليس يعيب الانسان ولا ينقصه ان يطيع من هو
اقوى منه واعلا يدًا اذ كان الله تعالي قد جعل بعض الناس
تابعًا لبعض وبعضهم يحتاج الي بعض فكل صنف منهما يخضع
لمن هو اقوى منه ويذل لهُ ويطيعه وذلك ظاهر وموجود في
الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم ودرجاتهم وفي
الحيوان على اختلافه وليس يستغرب ذلك ولا ينكره احد لهُ
ادني عقل واذا كان الامر كذلك فليس طاعة الروم مما يحط
في قدركم ولا مما يكسبكم هجنة وعارًا كما لم يلحق احدًا ممن تقدمكم
نقص بسبب طاعتهم لمن اطاعوهُ ولا الروم ايضًا باول من

اطعتموهُ من الامم ومع ذلك فقد تقدمت طاعتكم لهم منذ
سنين كثيرة وقد اختاروا ان يبدوكم بالجميل ودعوكم الى الصلح
ووعدوكم بالاحسان وظهر منهم الاشفاق عليكم وعلى مدينتكم
وقدسكم فاتقوا الله تعالي في انفسكم وتلافوا اموركم واحسنوا
النظر لمن بقى منكم وارجعوا الي ما كنتم عليه من طاعة الروم
لتسلموا وتبقوا وتتماسك احوالكم وتسلم هذه المدينة العظيمة
وهذا القدس الجليل قبل ان يهدم هذا السور الثاني فتهلكوا
قال فلما سمع الخوارج كلام يوسيبوس بن كريون رفعوا اصواتهم
بشتمه ومسبته واسمعوهُ ما قبح من الكلام ورموهُ بالحجارة والسهام
ليقتلوه فتباعد عنهم قليلاً واغلظ لهم الخطاب وقال يامعشر
العصاة اخبروني ويا ذوى النفاق اعلموني ما الذى يحملكم على
قتال الروم والامتناع من طاعتهم • فان قلتم انما تفعلون ذلك
اشفاقًا منكم على القدس وانكم انما تريدون صيانته من الاعدا
ليلا يذلوهُ للنجس ويدنسوهُ فكيف تصونونه وتشفقون عليه
وانتم قد بذلتموهُ لما عظمت رداوته من النجاسات والطماثات
ودنستموه بالمعاصى وسفك الدما الكثيرة ظلما فان قلتم انكم
تريدون نصرة الامة واعزازها فكيف يصح ذلك وانتم تقتلونها

بايدكم وتظلمونها بغير اشفاق ولا رحمة وهل تفعل الاعدا بكم
اكثر مما بلغتموهُ في انفسكم فاخبروني متي كان احد ممن تقدمكم
من امتكم او ناخر يظفرون باعدايهم ويغلبون من يحاربهم
بالسلاح والعدد والعساكر دون الصلاح وتقوي الله وهل
تخلص احد منهم من الشدايد الا بنصرة الله عز وجل ومعونته
اياه وهل كان تخلص احد ممن تقدمكم من الشدايد الا بذلك
وهل غلبوا اعدايهم وظفروا بمن حاربهم الا بنصرته تعالى
ومعونته . افتراهُ سبحانهُ كان يوازرهم الا متى اطاعوا امره وحفظوا
شرايعه واتقوهُ وتوقوا ما يكرههُ ولما عصوهُ وخالفوا مراسيمه
وارتكبوا ما نهاهم عنه سلط عليهم الاعدا حتى قهروهم واذلوهم
ولم ينتفعوا بسلاحهم وعددهم ولا امكنهم مقاومتهم بعساكرهم
وقوتهم لما سلطهم الله عليهم وحجب معونته ونصره عنهم وقد
علمتم ان الله عز وجل كفي الصالحين امر اعدايهم فمنهم من
كفاه امر اعدايه بلا حرب ولا قتال بل باظهار الايات العظيمة
والجرايح الجسيمة فبلغوا في ذلك ما لم يبلغوهُ في قوتهم ومنهم
من حاربوا الاعدا واستغاثوا بالله عز وجل ونصرهم على
اعدايهم واعانهم عليهم وظفرهم بهم ولم يفعل الله سبحانه مثل

ذلك قط مع العصاة وذلك تدبير منهُ تعالى يشهر فضيلة
الصديقين واجلاله اياهم دون غيرهم واعتبروا صحة ذلك
بابيكم ابرهيم لما اخذ فرعون سارة زوجته الم يضرب الله عز وجل
فرعون واهله بتلك البلايا العظيمة حتى خضع فرعون ورد
امراته ثم احسن الى ابرهيم واكرمه فهل قدر ابراهيم على ذلك
بالسيف والمكافحة ام بالصلاح وطاعة الله عز وجل وكذلك
استحق لما اخذ ابيمالخ ملك فلسطين امراته • وموسى الكليم وبنوا
اسرايل لم يغلبوا فرعون بحرب ولا قوة بشرية لكن بمظافرة الله
تعالي لهم خلصهم منهم وكفاهم امرهم ولما حاربهم عماليق هل غلبوهُ
بشي اخر سوى بدعا موسي السعيد وصلاته ورفع يديه كما امرهُ
الله تعالى ويشوع ابن نون قد كان في عسكر عظيم من بني
اسرايل فهل فتح اريحا بالرجال والقتال ام بالاية العجيبة
والعلامات البديعة الغريبة التي اظهرها الله عز وجل في سقوط
الحصن وهبوط الاسوار

ثم لما اخطى احد بما اخذهُ من الحرم من الغنيمةُ التي نهى
الله بني اسرائيل عنها اما سخط الله على الامة كلها بسببه حتى
غلبهم اهل مدينة العاى وهم قليلون فلم يقدروا عليهم مع

كثرتهم حتى صلى يشوع وتضرع ودعا فاستجاب الله عز وجل
طلبته ونصر بني اسرائيل عليهم وجدعون لما كسر عسكر مدين
وعماليق مع كثرتهم اتراهُ غلبهم الا بمعونة الله عز وجل ونصرته
وقد علمتم ان شمشون قبل ان يخطي كان جبارًا مظفرًا فلما
اخطى اسرتهُ الاعدا وصار في ايديهم ذليلا مهانًا مثل اقل
الناس واضعفهم وطحنوهُ بالرحى مثل العبيد والاماء وشاول
الملك لما كان مطيعاً لله عز وجل كان الله ينصرهُ على اعدايه
ويظفره بهم فلما عصا امر الله وتعدّى شريعته اسلمهُ الى اعدايه
ولم ينتفع بعسكره وكثرة عدده وداود النبي الشريف والملك
لم يزل منصورًا مظفرًا لما كانت افعاله مرضية لله فلما هفا في تلك
الخطية الواحدة كان من امره مع ابنه ابيشالوم ما كان واذكروا
ما فعل الله مع اسا الملك ومع ابنه يوشافاط لما ملكهما نواصي
اعدايهما بالدعا والصلوة فقط واذكروا كيف انهزم عسكر
السريان العظيم عن سبسطيه بصلاح اليشع النبي وقد كان
اهل المدينة اشرفوا على الهلاك من الجوع واوقع الله عز وجل
الخوف في قلوب السريان حتى انهزموا بغير حرب ولا قتال
فخرج اهل سبسطيه فغنموا عسكرهم وحسنت حالهم وزال عنهم

الجوع والقحط . واموصيا الملك لما حارب الادوميين غلبهم
وظفر بهم الى ان اخذ اصنامهم وتعبد لرزالاتهم فخذله الله عز
وجل لما حارب يواش ملك اسرائيل . واذكروا هلاك
سنحاريب ملك الموصل وتلك الابادة والمحقة المنحطة عليه من
السما لا بحرب ولا قتال لكن من جهة صلوة حزقيا الملك العادل
المقسط وبدعا الانبيا واعتبروا ايضًا بصدوقيا ملك يهوذا لما
عصا الكلدانيين وظن انهُ يغلبهم برجاله وعدده وخالف ارميا
النبي فيما كان يامرهُ بهِ ويشير عليه من طاعتهم هل انتفع بذلك
لما لم يرد الله نصره وهل كانت عاقبته وعاقبة الامة الاسرائلية
والمدينة المقدسة الا الهلاك والبوار والدثور والاندثار فهذا
وغيره مما لم اذكرهُ . يدلكم على عناية الله عز وجل بالاخيار ودحضه
وخذلانه للعصاة الفجار والانتقام الذي حل بنا لم يكن الا لسو
فعلنا ورداوة تصرفنا والله سبحانهُ عادل في كل احكامهِ ومنصف
في جميع افعاله واذا عرفتم هذا علمتم ان جميع افعالكم لا توجب
عدل الله وانصافه ان يعينكم او ينصركم كما لم ينصر غيركم من
العصاة وكيف تطمعون في مقاومة اعدايكم وهل انتم الا كغيركم
ممن قاوم الاعدا بغير صلاح فلما لم ينصرهم الله وظفر بهم

اعداهم فهلكوا ولم ينتفعوا بقوتهم وعددهم ولم تدفع عنهم
حصونهم وعساكرهم لما اسخطوا الله بمعاصيهم وانتم تعلمون ان
الامم الغريبة منا اذا وجدوا شيًا من الات القدس اكرموها
وحفظوها ولم يذلوها واما انتم فقد نجستم قدس الله عز وجل
وبذلتموهُ للنجس بالمعاصي وسفك الدما واطراحكم الدين
الحميد وخالفتم الشريعة فاي نصر نرجونهُ مع هذا واية معونة
من الله عز وجل تطمعون فيها ولقد كانت الجلوة لنا اصلح من
السطوة والسبية افضل من الدولة وذلك الشتات كان خيرًا
لنا من هذا الثبات لان الجلوة كسرت قلوبنا وذلّت عزّنا
وخفضت تشامخ عزمنا وكبر نفوسنا وكنا نطلب دايما طاعة الله
عزوجل ونتقرب اليه بما يرضيه وكان بعضنا يحنو على بعض
والواحد يتعطف على الاخر ولم يكن بيننا شر ولا عداوة فلما
احسن الله الينا وخلصنا من الجلوة وردنا الى ارضنا ونصرنا
واعزنا عصيناه وخالفنا وصاياه واهملنا شكره وطاعته واشتغلنا
بعداوة بعضنا بغير سبب حتى استوجبنا سخطه وعقوبته ثم نرجوا
منه مع ذلك المعونة والنصرة وهيهات ان ينصر الله الظالمين
والخطاة العاصيين ومع هذا فهل اوقعنا في هذا البلا غير انفسنا

باختلافنا وانقسام كلمتنا وسوء نية بعضنا في بعض وهل جلب
الروم في الابتدا الي هذه المدينة الجليلة وسلطهم على الامة
العبرانية غير هركانوس وارسطو بولس اخيه لعداوة كل واحد
منهما لابن ابيه ومشاحنته لاخيه وغدره بهِ وطلبه ان يغلبه على
الملك ومن جلب بعد ذلك انطونينوس وشكاروس اليس
هيرودس بن انتيبطرس لما اراد ان يحارب المكابيين ويتغلب
على مملكتهم وانتم الذين جعلتم الامر للروم علي انفسكم بسوء
رايكم واخترتم طاعتهم فكيف تكرهون الان طاعتهم وتؤثرون
مخالفتهم فان قلتم ان صاحب الروم جار علينا وساء الينا
واحوجنا الي ذلك فقد كان يجب عليكم ان تشكوهُ الى قيصر
الملك ولا تبادروا بالمعصية قبل ان تعلموا ما عندهُ وهبكم عصيتم
نيرون قيصر لما اساقايد من قوادهِ اليكم كما تقولون فاي عذر
لكم في معصية سوسباسيانوس الذي قد علمتم حسن سيرته
وعدله وقد ظهر لكم من أشفاقه عليكم ورغبته في سلامتكم
وصلاح احوالكم فلو لم تعلموا ذلك لقد كان كفى ما عاملني انا
وحدي بهِ من الجميل وقد كنت استوجب منه غير ذلك وفيه
كفاية ان يعطفكم الى طاعة الروم ويثنيكم عن مشاقتهم لاني انا

اول من اجتهد في محاربته ومقاومته وقتلت خلقا كثيرًا من
اصحابه وقد علمت اني خالفت الصواب في محاربة الروم لكنني
لما رايتكم قد اتفقتم باجمعكم على ذلك والزمتموني بمحاربتهم لم
اخالفكم وبذلت المجهود في مناصحتكم وثبت في حصن يوناداب.
فما انهزمت ولا تركت قتال الروم ومجاهدتهم الى ان فني اصحابي
وغلبني الامر ولم يبقَ لي حيلة

ثم حصلت مع الروم بعد ذلك فما اساؤا اليَّ بل احسنوا
واجملوا واعفوا عني واكرموني وانا معهم الى هذه الغاية على ما
احب وقد كنت اجتهدت قبل حصولي مع الروم ان اهرب اليكم
فاكون معكم فما تم لي ذلك وانا الان احمد الله عز وجل واشكره
تعالى اذ لم يسهل لي المجي اليكم وخلصني من كوني معكم فاني
لو كنت في جملتكم لكنت اما اشارككم في ظلمكم وقبح افعالكم او
كنت اخالفكم في ذلك فاقتل منكم كبعض من قتلتموه ظلماً
فتاملوا رعاكم الله ما اخاطبكم بهِ ولا ترجوا من الله مذ الان انه
ينصركم على اعدايكم كما فعل مع ابايكم لانكم لاتستحقون ذلك
ولاتطمعوا ايضاً انكم تغلبون الاعدا بباسكم وقوتكم فان ذلك
لا ينفعكم ولا يعود عليكم بطايلٍ اذ لم تكن معاضدة الله معكم كما

لم ينتفع من تقدمكم ممن سخط الله عليه واستدلوا ياقوم خذلان الله
لكم بعين سلوان فانها كانت قريبة من الجفاف قبل نزول هذه
الجيوش الكثيرة على المدينة فلما نزلوا غزرت العين وصارت كالنهر
لتعلموا ان الله عزوجل يريد معونة اعدايكم عليكم وتمكنهم فيكم ولا
تنكروا قولي لكم بان الله خذلكم واطرحكم فانكم تعلمون ان
كل احدٍ من الناس اذا تزايد عليه الشر وكثر الاذى في منزله
وراي فيه مايكرههُ فارقه وانتقل عنهُ واذا كان الله قد كره سكني
الاخيار مع الاشرار ولم يعجبه أن يكون الصالحون مع العصاة
الفجار فباحرى واكثر الا يسمح ولايشا سبحانه ان يسكن جلال
نوره بين قوم قد اغضبوه واسرفوا في ارتكاب المعاصي واذ كان
الامر كذلك لا تشكوا في ان نور الله عزوجل ومجده وجلاله قد
انتقل كل ذلك من قدسه وهيكله لما نجستموه واكثرتم فيه الخطايا
والمعاصي لان نور الله سبحانه انما يستقر في المواضع الطاهرة المقدسة
ولا يلبث ولايقطن في المواضع النجسة والاماكن الدنسة فاذا
انتقل نور الله تعالي من بينكم وبعد عنكم فاى خير ترجونه بعد
ذلك وانا اعلم ان كلامي لا يوثر فيكم وانكم لا ترجعون عما انتم
عليه ليتم ما حكم الله بهِ عليكم من هلاك هذه المدينة وخراب هذا

القدس الجليل اذ سفكتم فيه دم الذكي البار فلذلك قد قسيت
قلوبكم كالحجارة لان الحجر يوثر فيه الماء اذا تواتر انصبابه عليه وانتم
لاتنجع فيكم المواعظ مع كثرتها ولا يحصل لكم انتفاع بها ولا تلين
قلوبكم ولا تخضع غير اني قد بلغت الغاية فيما يلزمني من نصحكم
والمشورة عليكم بما ينفعكم ويعود بصلاح احوالكم فاقبلوا نصحي
واعتبروا بمن قد مضى واشفقوا علي هذا القدس الجليل الذي قد
اسسهُ الانبيا الاكرمون واحسنت اتقانه الملوك المعظمون فان
عزكم وثبات امركم ودينكم مقرون ببنيانه وان خرب لم يبقَ لكم عز
ولا اقبال ولا دولة وكنتم انتم الذين تخربونه بايديكم وتجلبون
علي انفسكم البلا العظيم بسو رايكم وثباتكم على لجاجتكم فان
كنتم ايها الاخوة لا تشفقون على هذا القدس الاشرف من ساير
الاماكن ولا على هذه المدينة الجليلة فاشفقوا ولو على انفسكم من
القتل لحرمكم ولاولادكم وافدوهم من السبي واقبلوا ما بذلهُ لكم
ابن الملك من الامان والوفا بعهده وما ضمنهُ لكم من الاحسان
اليكم وانا اضمن لكم عنهُ انهُ وافٍ بما ضمنهُ ولا ينقض عهده ولا
يخلف وعده لانني قد تحققت حسن نيته لكم وانهُ لا يختار ان
يسي اليكم وانما يريد منكم ان تطيعوهُ كما اطعتم من قبله ملوك

143

الروم وتعاهدوهُ على ذلك ثم ينصرف عنهم

فان كنتم لا تثقون بقولي وتتهموني وتظنون اني اخدعكم واريد معونة الروم عليكم فانتم تعلمون ان ابي وامي وزوجتي واولادي عندكم فان ظهر لكم من تيطس بعد طاعتكم لهُ ما يخالف ما ضمنتهُ لكم عنهُ من الجميل فاقتلوهم واقتلوني فقد رهنتكم دماهم ودمي على ذلك ثم بكي يوسف بكاء شديداً وكان تيطس يسمع جميع ما تكلم بهِ يوسف فرق قلبه وتوجع من كلامه وامر حينيذٍ باطلاق جميع من كان في عسكره من سبي اليهود ومن كان الروم قد اشتروهُ من السبي واستملكوه واحسن اليهم واطلق لهم ان يمضوا الى حيث ارادوا فرغب اكثر اهل المدينة الى طاعة تيطس واثر فيهم كلام يوسف وعملوا على قبول ما اشار بهِ عليهم فمنعهم الخوارج ووكلوا بالابواب من يحفظها وامروا البوابين ان يقتلوا كل من طلب من اليهود الخروج الى الروم واشتد الحصار على الناس وعدموا الطعام وقوي عليهم الجوع وكان الخوارج يامرون اصحابهم بان يفتشوا منازل الناس وياخذوا ما يجدون فيها من الطعام ويقتلون من يمنعهم على ذلك فاشتد الجوع على الناس في المدينة وكان

من يحتال منهم في الخروج الى ظاهر المدينة لياخذ شيًا من
نبات الارض يقتلهُ الروم فقتل منهم بهذا السبب خلق كثير
وكان الروم يصلبون من يقتلونه قدام المدينة فلما نظر الخوارج
ذلك اقبلواهم ايضا يقتلون من يظفرون بهِ من اليهود الذين
يريدون ان يستامنوا الى الروم ويصلبونهم على سور المدينة
لينظرهم الروم فقتلوا من اليهود خلقا كثيرًا حتي رحمهم تيطس
فامر اصحابه ان لا يصلبوا احدًا من اليهود ولم يدع تيطس مع
ذلك الرفق باليهود واستعطافهم ومخاطبتهم بالجميل وكان
الخوارج اذا سمعوا كلامه يزدادون قساوة ويشتمونه ويخاطبونه
بالقبح يريدون بذلك ان يغضبوه حتي لا يخاطب اهل المدينة بما
حسن من الكلام فيميلون اليهِ اذا سمعوا كلامه وحسن تلطفه
ويرغبون في طاعته ليتخلصوا مما هم فيهِ قال فلما راي تيطس ان
الكلام لاينجع ولا يوثر فيهم وان القوم قد كثر شرهم وزاد عصيانهم
وتصلبت اعناقهم ويئس من طاعتهم عند ذلك عمل على هدم
السور الثالث وجد في ذلك ليفتح المدينة ويعتق اهلها من اوليك
الخوارج القساة فقسم عسكره اربعة اقسام وجعلهم علي اربعة جهات
المدينة ونصب كباشا الكي يضرب بها السور من كل جهة فخرج

اليهم الخوارج واصحابهم فقاتلوهم قتالاً شديداً عظيما وقتلوا من
الروم خلقاً عظيما واحرقوا الكباش مع جميع الاتها ونظر الروم من
شدة باس اليهود وشجاعتهم ما هالهم وانهزموا وولوا هاربين فردهم
تيطس وشجعهم وجعل يقول لهم اما تأنفون لانفسكم من ان
يغلبكم اليهود وتنهزموا منهم بعد ان استظهرتم عليهم وهدمتم
سورين من اسوار مدينتهم ولم يبقَ الا سور واحد وقد هلك اكثر
القوم ولم يبقَ منهم الا القليل وليس لهم من ساير الناس من يعينهم
ولا ينصرهم واما نحن فعساكرنا متوافرة ومعنا امم كثيرة تعيننا
عليهم واذا كان اليهود يستقتلون علي مدينتهم وقدسهم ويحرصون
على الغلبة فسبيلكم انتم ايضا ان تجتهدوا في محاربتهم وتحرصوا
علي غلبتهم فانكم تكسبون بغلبتهم الاسم الكبير والذكر العظيم
والفخر الجسيم فان انهزمتم هاربين وذليتم فارين اكتسبتم بذلك
سو الذكر وقبح الاحدوثة وحصل لكم العيب الباقي والعار الدايم
ثم اتفق راى تيطس واصحابه علي ترك محاربة اليهود وان يحاصروهم
ويضيقوا عليهم الى ان يقهرهم الجوع وينال منهم فيهلكوا ويخرجوا
اليه ففعلوا ذلك وحفظوا جميع طرق المدينة ليلا يدخل اليها احد
او يخرج منها فضاق الامر باليهود واشتد الجوع وكان ذلك سبب

ذكر قتل شمعون الخارجي امثاي الكاهن وبنيه وغيرهم من الناس في يوم واحد

قال وسعى قوم من الاشرار بامثاى الكاهن الى شمعون الخارجي وذكروا عنهُ انهُ يريد يستأمن الروم وامثاى هذا المذكور كان قد خرج بامر الكهنة وشيوخ بيت المقدس الى شمعون هذا الخارجي فادخلهُ الى مدينة اورشليم ليعينهم على يوحانان كما قد ذكرنا جميع ذلك فيما تقدم قال فامر شمعون اصحابه بالقبض عليه وعلى بنيه وكانوا ثلاثة فقبضوا عليهم واحضروهم الي شمعون فامر بقتلهم فسالهُ امثاي ان يقتلهُ قبل ان يقتل اولاده فلم يفعل فتضرّع اليه ان يمكنه من اولاده ويضمهم اليه ويقبلهم ويودعهم فابي ولم يأذن بهِ ولا اجاب اليه بل امر ان يصعدوا بهم على سور المدينة ليقتلوا قدام الروم قال فرفع امثاي صوته وقال لشمعون ياشمعون انت تعلم اني انا الذى جيت بك واتيت بك الى ها هنا فصرت عدوًّا لي الى هذا الحد فلو كنت اوثر المضي الى الروم لمضيت قبل ان يكون لك على امر ولكنّي ما اردت ذلك ولا هممت بهِ وانا اعلم اني استحق

القتل واستوجبه من الله عز وجل وان يسلّطك عليّ لاني كنت
سبب قدومك الى هذه المدينه الجليلة مدينة القدس حتى تسلطت
على امته وظلمتهم وغشمتهم وقتلتهم ايضا وما كنا طلبناك
الاّ لما عظم علينا شر يوحانان وظلمه واملنا انك تكفنا امره
وتكون خيراً لنا منه وضمنت لنا ذلك وعاهدتنا عليه ولم نعلم
انك غدور لاتفي بعهد ولاتثبت ولعمري قد اخطاءنا فيما
فعلناه ولقد اخلفت امالنا وكذّبت ظننا لاننا املنا منك ان
تنصرنا على اعدائنا فكنت اشد عداوة لنا واشر علينا من كل
عدو وقدرنا انك تعطل الحروب والفتن من المدينة فزدت
فيها وقوّيت شوكتها واقد كان اهل الشر قبلك يقتلون الناس
سرّاً فقتلتهم انت جهرا وسفكت دماهم بغير اشفاق ولا رحمة
واقد اعنت الروم علينا وقويتهم بقتلك شجعاننا وابطال مقاتلينا
حتي فنيت رجالنا وقل عددنا واقد تحقق عندنا ان تيطس خير
لنا منك واحسن طريقة واجود نظرا واجمل عاقبة لانه طلب
ان يستميلنا ويقطع الحروب عنا وانت تمنعنا من ذلك ولاترثي
لمصابنا ولاتشفق علينا من الحروب المتصلة والبلا الحادث كل
يوم فتيطس لاجلاله لبيت الله تقدم الى اصحابه بالايحرقوه اذا

ظفروا بهِ ورفع الحرب عنا في عيد الفصح اما انت فقتلت كهنة
الله على مذبح الله في يوم العيد ونجست هيكل الله عز وجل ودنست
بيته بسفك الدما الكثيرة فيه وانا ارى اني مشارك لك في جميع
افعالك ومطالب بها لاني ادخلتك الي مدينة قدسه ومكنتك
منها فاية حجة لي بين يدي الله تعالى وانا الذي اخطأت على
امته وعلى محل قدسه ولذلك حلت نقمة الله بي على يدك وجعلك
متوليا عقوبتى والاخذ بحق الله وحق امته مني وذلك عدلٌ منهُ
وانصاف فلو انك قتلتني وحدي لهان ذلك عليَّ لاني ارجو
الهي ان يغفر ذنبي بقتلي ولاني اخلص بالقتل من مشاهدة
خراب البيت المقدس ومن هلاك الامة اما قتلك اولادي فما
تطيب بهِ نفسى ولا احللك منه فياليتني كما اخلص بالقتل من
مشاهدة خراب القدس كنت اخلص بهِ ايضا من مشاهدة قتل
اولادى ويا ليتك اذ قد اردت قتلهم كنت تقلتنى قبل ان تقتلهم
او كنت تمكنني منهم فكنت اضمهم الى صدرى واقبلهم قبل ان
تقتلهم فيكون لي بذلك بعض العزا

ثم التفت الشيخ امثاي نحو اولاده وجعل يخاطبهم قايلاً
يا اولادى انا الذي اتيت بهذا الظالم الى هذه المدينة فصرت بذلك

مشاركا لهُ في كافة أفعاله ومستوجبا من الله ان يسلطهُ عليّ وتليكم
على اني لم افعل ذلك الا بامر الكهنة وشيوخ الامة وهم الذين
ارسلوني اليه حتى استدعيه لهم فصار وبالاً عليهم وعلينا وعدواً
لهم ولنا ولم نكتفي بيوحانان القاتل حتى اضفنا اليهِ من هواعظم
شراً منهُ والان يا اولادي ليس ينفعنا البكا ولا الجزع وليس لنا
الا الصبر والرضى بحكم الله عز وجل فان القتل خير لنا من البقا
مع الاشرار وافضل عندنا من مشاهدة خراب القدس وهلاك
الامة فاصبروا اذاً ايها الاولاد صبر الشباب الاجلاد وافرحوا
بالموت علي طاعة الله ولا تهلعوا ولا تجبنوا وتشبهوا بالسبعة الاخوة
الذين قتلهم المارد الردى أنتيوخس وها انا مع كبرى وضعفى
صابر ثابت ولي اسوة باشمونيت ام اوليك السبعة الذين قتلوا
بحضرتها وهي صابرة شاكرة وبغيرها ممن حسن صبره ولم يجزع ورضى
بحكم الله عز وجل وصار الى ثواب دايم ولين تقدمتموني يا اولادى
فاني لاحق بكم غير متخلف عنكم ولا متاخر عن المسير نحوكم وهذا
فهو اقل حزني وتخفيف في غمى لانى لو بقيت بعدكم لعظمت
مصيبتي وطال حزني وكنت اكون مثل صدوقيا الملك الذى
شاهد نحر اولاده ثم بقى مكابداً للحزن والغم ولو انهُ قتل معهم لاستراح

واعلموا ان شمعون وان فرق بين اجسامنا فليس يمكنه ان يفرق بين ارواحنا وانكم عن قليل تصيرون الى الثواب الباقي والنعيم الدايم واين ساءني ان اري قتلكم فاني ارجو لكم من الله عز وجل الاجر الجزيل والمنقلب الجميل والمغفرة فتعزوا يا اولادي عن الدنيا واصبروا علي القتل ولا تجزعوا من الموت وتقدموني فاني لاحق بكم واسعد من جهتكم فاذا لقيتم الصالحين فقولوا لهم امتكم وبني ابايكم الذى انشق لهم البحر وجري لهم من الحجر النهر ووقعت لهم من في السما وتفجرت لهم من الصخرة عيون الماء وساروا في طريقهم بالغمام ورعاهم الانبيا بحرص واهتمام وساسهم الصالحون وذل لهم الجبابرة والمقتدرون قد تذللوا بعد النعيم وتسلط عليهم الاشرار وتولى امرهم العصاة الفجار فظلموهم وقتلوهم ولم يشفقوا عليهم ولا رحموهم ثم قال الشيخ امشاي للسياف افعل ما امرك به الخارجي واقتلني بالسيف الذى تقتل به اولادي ليختلط دمي بدمايهم واطرح جسمي علي اجسامهم ليكون ذلك عوضا مما حرمته منهم في حياتي من معانقتهم ولعل جسمي ان يسترهم من طاير السما ولا ياكل لحومهم واجعل فمي على ضرباتهم ليكون ذلك عوضا مما منعت من تقبيلهم فان كان شمعون قد فرق بيني وبين اولادي في الدنيا فليس يقدر

ان يفرق بيننا في الموت

ثم رفع الشيخ امثاى يديه نحو السما وصرخ قايلا ايها الرب العظيم القادر على ما تشا اسالك ان تنتقم من شمعون وتطالبه بظلمه وتسلمه مع اولاده الى اعدايه ولا تحشره مع امتك ولا تميته حتى يرى في نفسه وفي اولاده مايكره بعد ما يراه من خراب القدس وجلا الامة فيعلم حينئذٍ ان منصرفي احسن من منصرفهِ وان عاقبتي احسن من عاقبتهِ قال فلما فرغ امثاى من كلامه امر شمعون بقتل اولاده الثلاثة قدامه فقتلوا ثم قتلوا الشيخ بعدهم وطرحت جثتهم الى خارج الحصن ثم امر شمعون في ذلك اليوم بقتل رجل من اجلا الكهنة يقال لهُ حنانيا فقتل وطرحت جثته على جثة امثاى ثم قتل ارسطوس الكاتب وخمسة عشر رجلا من كبرا الايمة وصلحايهم وقتل احد عشر رجلا من وجوه اهل المدينة بلغهُ عنهم انهم انكروا قتل امثاى الكاهن واغتموا منه وقتل يهودا رئيس الالف وجماعة معه لانهم ارادوا ان يستامنوا الى الروم لما نظروا الى ما فعلهُ بالناس ولما راى العازر بن عناني الخارجي ما فعلهُ شمعون بالناس استعظمه وايقن بهلاك المدينة فخرج من بيت المقدس واقام في بعض المواضع

الى ان انصرف تيطس عن المدينة ثم كان من امره ما سنذكره في اخر الكتاب

ذكر عظم المجاعة التي حصلت في بيت المقدس لما طال الحصار وموت الناس فيها وخبر المراة التي اكلت ابنها

قال صاحب الكتاب لما طال الحصار علي المدينة المقدسة فني كل شي كان فيها من القوت وجميع الماكول وقوى الجوع علي الناس حتى اكلوا الجيف ودبيب الارض وهلك منهم بذلك خلقٌ كثير وكان من سلم لهُ يسير من القمح يخاف ان يطحنه او يخبزه فيعلم بهِ من صوت الطاحونة او بالدخان فيوخذ منه ويقتل فكانوا ياكلون القمح حبا ويستفون الطحين دقيقا ويتخاطفون اليسير من القوت حتي كان يخطفهُ الاب من ولده والولد من والده فعظم الجوع واشتد الامر وقوي القحط حتى مات كثير من الناس واشتغل الاحيا بانفسهم فما كانوا يدفنون موتاهم وبعض الناس كانوا يرمون موتاهم في الابار والروابي ويلقون انفسهم فوقهم ليموتوا ويستريحوا مما هم فيه من البلا العظيم وكان كثير من الناس يحفرون لهم حفرات نظير القبور ثم يضجعون فيها الى ان

يموتوا وبطل البكا وانقطعت الاصوات وزالت الحنية وذهبت الشكوي وعدم الترثي وامتلات المنازل والشوارع والازقة من الموتى وكان الخوارج يرمون من يموت وغيره من السور الى الوادى الذى هو شرقي المدينة حتى صار في الوادي منهم عدد عظيم فمر بهم تيطس في بعض الايام فلما راى كثرتهم استعظم ذلك واغتم منه ورفع يده نحو السما وقال اللهم انك انت العالم انني ما احببت ولا اردت هلاك هولا القوم وانني ما قصدت لهم الا الخير وقد استدعيتهم الي الصلح وبذلت لهم الامان ووعدتهم بالاحسان فمنعهم روساهم واشرارهم حتى حل بهم هذا البلا العظيم فاسالك ايها الرب ان تبريني من اثمهم ولا تواخذني بما اصابهم

قال فلما طال الحصار جاع الخوارج واصحابهم ايضا واذاقهم الله ما اذاقوهُ للناس من الجوع وبلغ امرهم الى ان اكلوا الحب الذي يوجد في زبل الانسان واكلوا جلود البهايم المايتة ثم اكلوا ما يوجد من الجلود على سروجهم نعم وعلى سيوفهم وكانوا يطلبون شيا من النبات فلا يجدون لا في ظاهر المدينة ولا في باطنها لان الروم قطعوا كلما كان حول المدينة من الشجر

والنبات وقد كان حول بيت المقدس من ساير جهاتها بساتين كثيرة فيها انواع الاشجار واصناف الفواكه على مسيرة اميال كثيرة من كل جهة وكان اذا اقبل انسان الى المدينة يرى احسن منظرًا فلم يترك الروم من جميع ذلك شيا وصارت تلك المواضع مثل البرية المقفرة وكان كل من يعرف تلك البساتين والرياض قديمًا اذا عاينها بعد ما اخربها الروم يبكي ويستوحش

قال صاحب الكتاب وكان في بيت المقدس امراة من اهل الشرف وذوي النعم والسعادات وكان اصلها من مدينة في جيزة الاردن فلما كثرت الفتن هناك في زمان سوسباسيانوس انتقلت الامراة الي بيت المقدس فقامت بها وكان لها نعمة واسعة وعبيد كثيرون ولم يكن لها غير ولد وحيد صغير تحبه حب الوالدة لولدها الوحيد فلما قويت المجاعة في بيت المقدس ونهبت الخوارج جميع ما كان في منزل المراة كما فعلوا بغيرها جاعت الامراة وجاع ولدها فلما زاد ما بها مما تجدهُ من الجوع وما يصل الى قلبها من الالم ببكا ابنها وتضوره عدمت الصبر وفقدت التمييز فعملت على ان تقتل ولدها وتاكله لتسد بهِ جوعها وتريحه

با لقتل مما يقاسيه بالجوع فكانت محتارة لا تدرى على اي الامرين تحمل نفسها هل تقتل ابنها الوحيد العزيز عليها بيدها وتاكلهُ وذلك من اشنع الامور وافظعها ام تصبر على ما تراهُ بهِ وبنفسها من الضر والم والجوع • وقد فارقها الصبر وغلبها الجوع والاحتياج الى ما لا بد منهُ حتى لم يبق لها راى حينئذٍ ازالت عن نفسها الرحمة وابعدت عن جوارحها الاشفاق وقالت لولدها قد كنت اومل يا ابني ووحيدى والعزيز عليَّ انك تعيش حتى تبرني وتقوم باحوالي اذا كبرت وتتولى امري اذا مت وكنت اخاف من ان تموت قبلي فاحزن لموتك واصابة لشدتك واتالم لفقدك وليتني كنت قد ثكلتك وليتك كنت مت على غير هذه الحالة فدفنتك واحتسبتك عند الله ولم ارَ هذا الضر الذى تكابده والان ياولدي قد احاطت بنا البلوى من كل جهة وعدمنا عقولنا وعميت ابصار قلوبنا وقد يئسنا من الفرج وايقننا بالهلاك الكلي والبوار الشامل فالحيّ منا لا يطمع في البقا والميت لا يدفن فانا وانت هالكان وان مت يا ابني لم يدفنك احد وكنت مثل غيرك ممن اكلهُ الكلاب وطاير السما وقد رايت ان اقتلك لتستريح من الم الجوع ثم اكلك بعد ذلك واجعل جوفي الذي نشات فيهِ قبراً لك واسد بك جوعى ويكون

ذلك عوض البر الذى كنت اومل ان اناله منك وتكون
كانك قد كافيتني عوضًا عن حملي اياك ورضاعتى لك
وبالغت في اكرامي وبري وتنال بذلك عظيم الثواب وخير
الجزا ويكون ذلك عارًا على هولآء الخوارج الذين اوقعونا في
هذه الشدة التى لا مزيد عليها ويكون ذلك زيادة سبب في سخط
الله عليهم وانتقامه لامته منهم وحديثًا يبقى على ممر الدهور
يتحدث بهِ الناس جيلاً بعد جيل ثم ان الامراة قبضت على
ناصية ابنها بيدها الواحدة والسكين بيدها الاخري وهي
كمسلوبة العقل ثم حوّلت وجهها عنه ليلا تراه وضربته
بالسكين فمات وحينيذٍ اخذت بعض لحمه وشوته على النار
واكلت منهُ حاجتها واحتفظت بما بقي من جثته فلما ارتفعت
رايحة ذلك اللحم وشمتها الخوارج واصحابهم هجموا على الامراة
بغضب شديد وحدة وقالوا لها ما الذي كنتِ تاكلينه ومن
اين لكِ هذا اللحم وكيف اكلتيه وحدكِ ولم تعلمينا بهِ فقالت
لهم الامراة ترفقوا ولا تعجلوا فما كنت بالذي اظلمكم واوثر نفسى
عليكم بل قد ابقيت لكم النصيب الوافر مما اكلتهُ فاجلسوا
اذًا لكى اتيكم بهِ فجلس القوم ومضت المراة ونصبت المايدة

قدامهم واخرجت ما بقي من جثة ابنها وجعلته على المايدة
وقالت لهم هذا ولدى واعز الاشيا عندي قتلته بيدى لافراط
الجوع بي واكلت من لحمه حاجتى وهذه بقية جثته واعضايه
ابقيتها لكم فكلوا واشبعوا ولا تكونوا اشد رحمة مني لولدى
ولا تضعف قلوبكم عن ذلك فانهُ قبيح بشجعان مثلكم ان
تكون امراة اقوى قلباً منهم ومع ذلك فانكم احق ممن رضى بذلك ولم
ينكره لانكم انتم الذين جلبتم عليّ وعلى سكان هذه المدينة هذا
البلا العظيم ولم ترثوا لنا ولا رحمتمونا حتى بلغنا الى هذه الحال السية
فلما راي اوليك الخوارج ذلك استعظموه وخرجوا مذعورين
وخايفين واشتهر خبر المراة في المدينة فقلق الناس لذلك قلقاً
شديداً وتحققوا صحة الوعيد الذى سبق من الله عز وجل فيهم
وايقنوا بالهلاك وانكسر الخوارج وكادت ترق قلوبهم وضعفت
قواتهم واطلقوا للناس الخروج من المدينة فخرج في ذلك الوقت
خلقٌ كثير الي الروم فلم يمنعوهم ولما اتصل الخبر الى تيطس استعظمهُ
وقلق منهُ جداً ورفع صوته الى السما وقال اللهم انت العالم الخفيات
والمطلع على السراير والنيات وانت تعلم اني لم اتِ الى هذه المدينة
لاحارب اهلها ولا لكي اسى اليهم واني استدعيتهم الى الصلح دفعات

فما اجابوا ولقد شفقت عليهم واردت سلامتهم وامنهم وما اردت هلاكهم ولا رغبت عطبهم فلم يشفقوا هم على نفوسهم ولا راعوا ذواتهم حتى انتهى امرهم الي مثل هذا واقد غمني ما بلغوا اليه لاسيما ما عرفته من حال هذه المراة البايسة وساءني ذلك واقلقني وما رضيتهُ سريرتي ولا سرت بهِ نفسي ولا اخترته وانا بريء اليك منهُ فاسالك يارب ان تعفيني من ظلامته ولا تجعلني تحت وزره وطايلته وتبري قومي من جنايته واثمه وان تطالب خوارج هولاء القوم بظلمهم واساءتهم وتنتقم منهم وتظفرني بهم قال ثم ان تيطس امر اصحابه بالاحسان الي اليهود الذين خرجوا اليه من المدينة وكانوا جماعة كثيرة رجالاً ونساءً وصبيانا ففعل اصحاب تيطس كما امرهم فاطعموهم الطعام وكان كثيرون منهم لا يقدرون ان يفتحون افواههم وجماعة كثيرة منهم لما اكلوا الطعام ماتوا لوقتهم وكان الصبيان وغيرهم يخطفون الخبز اذ يبصرونهُ وينهشونهُ بلا عقل ثم يموتون عقيب ذلك فلما علم تيطس بامرهم امر يوسف بن كربون بتدبيرهم فسقاهم اللبن اياماً حتى لانت امعاهم ثم اكلوا الطعام بعد ذلك فعاش كثيرٌ منهم قال وكان بعض هولا اليهود لما ارادوا الخروج من المدينة قد ابتلعوا ذهباً وجواهر كانت

136

في ذخايرهم لتسلم لهم ممن يتعرض لاخذها ولتبقي معهم فيعيشون
منها فلما صاروا في عسكر الروم جلس رجل منهم يفتش ما برز
منهُ بعد ان تبرز ويخرج منهُ ما كان قد بلعهُ فراهُ بعض السريان
فاخبر رفيقه بذلك فقتلا ذلك اليهودي واخذا ما كان معهُ وفشا
الخبر فاتفقت العرب والسريان الذين كانوا في عسكر تيطس علي
قتل اليهود فقتلوا منهم خلقا كثيرًا لطمعهم في اخذ ما كانوا قد
بلعوهُ من الذهب والجواهر فلما علم تيطس بذلك انكره وغضب
منهُ ثم استدعي اصحابه اعني روساء عسكره ومقدمي جيوشه وامرهم
بازالة كلما علي مركباتهم من الحلي وانتزاع ساير ما هو من الذهب
وغيره علي الات سلاحهم وحمايل سيوفهم وغير ذلك من عددهم
وامرهم ايضا بان لا يتركوا شيا من الزينة والتوشية واللولو والجوهر
علي لباسهم وقال لهم ان هذا الذهب وغيره من الزينة مما علي عددكم
وملابسكم هو الذي حمل العرب والسريان علي قتل هولا اليهود
رغبةً فيما ياخذونهُ من الذهب والجواهر التي معهم ليتشبهوا بكم
في الزي واللباس المجمل فامتثل اصحاب تيطس الوقت ما امرهم
بهِ وازالوا جميع ما عليهم من الحلي والذهب ثم امر بنفي العرب
والسريان من عسكره وابقاهم فكفوا عن قتل اليهود وكان العرب

والسريان اذا ظفروا بيهودى قتلوهُ في خلوه طمعا في ان يكون في جوفه شي من المال والجواهر

ذكر هدم السور الثالث من اسوار بيت المقدس

قال صاحب الكتاب فلما نظر الروم سوء حال اهل بيت المقدس وفنا اكثرهم وضعف من بقى منهم وما هم عليه من الضر والجوع طمعوا في اخذ المدينة فتقدموا الى السور الثالث ونصبوا عليه الكبش ليهدموهُ فلم يكن للخوارج قوة ان يحرقوهُ كما فعلوا في مثل ذلك فيما تقدم الا انهم مع ذلك معما هم عليهِ من الضر والبوس قاتلوا الروم قتالاً شديدًا وقتلوا جماعة كثيرة منهم وقد كان الروم عملوا على ان ينصرفوا عن المدينة ان احرق اليهود الكبش لانهم ضجروا من طول الحرب وامتدادها وضعفت ايضا قلوبهم لكثرة من قتل منهم وما ظهر لهم من باس اليهود وقوة قلوبهم فلما كان عند المساء عاد يوحانان واصحابه الى المدينة لضعفهم عن محاربة الروم فدفع الروم الكبش على السور في الليل فهدموهُ وصرخوا عند ذلك صراخا عظيما فارتفعت الضجة ايضا من داخل المدينة واقام الروم موضعهم الى الغداة فلما اصبحوا نظروا واذا قبالة ذلك الموضع الذي انهدم من السور سورًا جديدًا قد بناهُ اليهود في

134

تلك الليلة وهم قيام عليه وذلك انهم لما عجزوا وضعفوا عن احراق
الكبش علموا ان الروم يدفعونهُ على السور فاجتمعوا في الليل
فبنوا سورًا بازا الموضع الذى علموا انهُ سينهدم ووقفوا عليه فلما
نظر الروم الي هذا السور الجديد استعظموا ما فعلهُ اليهود ويئسوا
من فتح البلدة فقال لهم تيطس ان هذا السور الجديد لا ثبات لهُ
لانهُ لم يستحكم فاذا صدمهُ الكبش انهدم سريعًا فصعد الروم على
السور المهدوم وقربوا من اليهود ووقف اليهود على السور الجديد
الذي ابتنوهُ واشتد القتال بين الفريقين فغلب اليهود الروم
وهزموهم وقتلوا كثيرًا منهم فكلت الروم من محاربة اليهود وقوى
عزمهم على الانصراف عنهم فلما علم تيطس بذلك جمع اصحابه ثم
قال لهم ان كل من يمارس صناعة او يعاني مهمة انما قصدهُ ان
يبلغ الي الغاية التى تكمل صناعته بها ويتم عملهُ فلذلك يصبر على
كل تعب الصنعة الي ان تكمل فيبلغ غرضه الذي يقصدهُ وربما
كان اخر العمل اكثر مشقة من اولهِ واتعب فان ضجر منهُ الذى
يتولاه وتركه قبل ان يتممه ذهب تعبهُ وبقى عمله ناقصًا لا ينتفع بهِ
انظروا الي مدبرى السفينة كيف يصبرون على التعب في تدبيرها
طول مسيرها ليبلغوا الي الغاية التى يقصدونها فاذا هم قربوا الي

المكان الذي قصدوه واعتراهم الضجر وملك عليهم العجز ولو يسيرا
عطبت السفينة وهلك جميع من فيها وذهب تعبهم ضياعاً باطلا
واذا صبروا واحتملوا التعب سلمت السفينة وبلغوا بصبرهم الى
حيثما قصدوا وكذلك من ينشي بناءً ان ضجر منهُ وتركهُ قبل ان
يتمه ذهب تعبه وبطل اجره وكذلك الفلاح انما يتصبر على التعب
في فلاحته الارض وزراعتها وحفظها من الحيوان المفسد لما فيها
لياخذ مستغلها فان هو ضجر عند بلوغ الزرع وكماله وتركه ولم
يحصده ويجمعه ضاع جميع تعبه واتلف غلته وبقي فقيرًا جايعا وانتم
ايضا انما جيتم الى هذه الامة لتعيدوها الى الخضوع لكم والطاعة
لعزة سلطانكم وقد صبرتم على محاربتها طول هذه المدة واستظهرتم
عليها الى هذه الغاية حتى هلك روساوها وشجعانها وخربتم حصونها
وفنيت عساكرها بالسيف والجوع والوبا ولم يبقَ منها الا شرذمة
يسيرة كالموتى فان انصرفتم بعد هذا ولم تتمموا عملكم وما
قصدتموه كنتم قد ضيعتم تعبكم واعنتم عدوكم على انفسكم واهنتموها
عند كل من يسمع خبركم ولو كنتم انصرفتم عن القوم قبل هذا
لكان اجمل بكم واحسن واما فلا عذر لكم في عجزكم عن محاربة
قوم قد بلغ منهم الضر والجوع الى هذا المبلغ فان انصرفتم عنهم

قبل ان تتمموا عملكم طمع فيكم كل احد واجترى عليكم كل من
كان يخاف منكم ولماذا لا تماثلون اليهود في الصبر والثبات
والشجاعة وقوة المتنة وجلادة العزيمة فها قد شاهدتم ما اظهروهُ
من الثبات والصبر مع انقراض رجالهم وفنا ابطالهم واجتماع
المكاره عليهم وانقطاع رجايهم من البقا ولم يكفوا عن قتالنا
ومحاربتنا ام طمعاً في الظفر او انفةً من الغلبة او رغبةً في بقا الذكر
وانتم احق ان تطلبوا جميل الذكر وترغبوا في الظفر وتحرصوا على
الغلبة وتجتهدوا في دفع الضر والعار عن انفسكم ومع ذلك فقد
صبرتم ايام نيرون قيصر على محاربة هولا القوم وعملتم على انكم لا
ترجعون عنهم الا بعد ان تظفروا بهم وتهلكوهم او تردوهم الى
طاعة الروم فلما ملك سوسباسيانوس الذى هو اشجع من نيرون
واعظم باساً عملتم على ان ترجعوا عنهم قبل ان تظفروا بهم فاى
عذر يكون لكم عنده واية حجة تحتجون بها عليه

قال فلما سمع الروم كلام تيطس ثبتوا وتشجعوا فلما كان في
الليلة التى بعد هذا اليوم اجتمع عشرون رجلاً من شجعانهم
وعملوا على ان يدخلوا البلد ومعهم جماعة من العسكر فاتوا الى
ثلمة في السور فصعدوا عليها ودخلوا الى البلد لان اليهود

كانوا نياماً لطول تعبهم وجوعهم وضرهم فلما دخل الروم المدينة
صرخوا فاستيقظ اليهود لشدة اصواتهم فصوّتوا ولم يفارقوا
مواضعهم وسمع تيطس صوت اصحابه فعلم انهم قد ملكوا
السور فمضي مع جماعة من رجاله فوقف عند السور الى الغد
فلما صار النهار التقي اليهود مع الروم فانهزم اليهود الى القدس
وتبعهم الروم فاقتتلوا في صحن القدس البراني بالسيف وكان
بينهم في ذلك اليوم حرب عظيمة لم يجرَ مثلها منذ قط لانهم
ستقتلوا جميعاً وجدوا في الحرب وعلت اصواتهم وارتفع ضجيجهم
الى ان سمعت من البعد النازح وكثرت القتلى في القدس
وامتلا صحن القدس الجليل من دما القتلا واستظهر اليهود في
ذلك اليوم علي الروم فهزموهم واخرجوهم من القدس وكانت
مدة هذه الحرب من الصبح الى ربع النهار فامر تيطس في هذا
النهار بهدم موضع كان متصلاً بالقدس يسمى انطونيا واراد
بذلك ان يتسع موضع الحرب علي اصحابه لان محاربتهم لليهود
بعد ثلم السور الثالث كانت في صحن القدس البراني فلما هدم
هذا الموضع انثلم طريق القدس وصارت الطريق اليه سهلة

ذكر مخاطبة تيطس لليهود بعد ما جرى منهم على الروم

قال صاحب الكتاب وكان هذا اليوم يوم عيد لليهود فاجتمعوا في القدس ليعيدوا فتقدم نيطس الي القدس ومعهُ يوسبوس الكاهن فاستدعي يوحانان وروسا الخوارج وخاطبهم بصوت عالٍ وقال يامعشر اليهود اخبروني ما الذي يدعوكم لان تجلبوا الخراب على هذا الموضع المقدس وامتكم علي مخالفتنا ومنازعتنا فان كنتم انما تفعلون ذلك اجلالاً لهذا البيت واشفاقا عليه من الخراب فقد علمتم انى لست ارغب خرابه واني ما جيت لذلك على انكم انتم قد دنستموهُ وبذلتموهُ لكل نجس ولم تجلوهُ ولم نكرموهُ واكثرتم فيهِ من سفك الدما وارتكاب المحارم وهذا اليوم فهو لكم عيد جليل وهوذا قد اشتغلتم فيهِ بمحاربة بعضكم بعضا واهملتم بواجب ما يتعين عليكم من حق العيد فان قصدتم ان تظهروا شدة بأسكم ووفور شجاعتكم فاخرجوا خارج المدينة الى الصحرا حتى نحاربكم وهناك اظهروا عالي مآثركم ورفيع هممكم الي ان يغلب منا من غلب ووقروا قدس الله ونزهوه عن الحرب ولا تنجسوهُ بسفك الدما فيه ولا تعطلوا منهُ القرابين والعبادة فانا لا نريد ذلك ولا نختارهُ ولا

نقصد محاربتكم من اجلة وانما نحاربكم من اجل مقاومتكم لنا
فان كنتم قد عجزتم عن القتال فانزلوا على حكمنا واقبلوا
امرنا فقال لهُ يوحانان اعلم ايها الملك انهُ ليس لنا قرابين نقربها
في هذا الهيكل اجل من لحومنا ودماينا ونحن نختار ان نبذل
مهجنا وسفك دمانا فيهِ ونستقتل في محاربتنا عنهُ معتقدين ان
ذلك يكون لنا قربانًا مرضيا وضحيَّة مقبولة قال لهُ تيطس كيف
تطمعون انفسكم بانكم تكونون عند الله كالقرابين المرضية
اذا قتلتم في قدسه وانتم قد عصيتموهُ واغضبتموهُ بما ارتكبتموهُ
من الافعال وهل يقبل الله عز وجل الضحايا والقرابين الا اذا
كان مقدمها سالما من كل عيب فانتم ياهولاء قد اجتمعت
فيكم المساوي والمعايب وليس يحسب قتالكم عن هذا الهيكل
اعزازًا لهُ ولا تستحقون ان توصفوا بفضيلة الباس والشجاعة لان
الشجاع انما يقاتل عن مدينته وقومه ليصونهم ويمنع عنهم الاذي
ليس ليهلكهم ويخرب مدينتهم ايرضي احدكم ان توخذ مايدته
من قدامه بغير رضاه فاذا كنتم لا تختارون ذلك ولا ترضونهُ
فكيف استجزتم ان تعطلوا قرابين الهكم من هيكله وجعلتم
فيهِ عوضا عن ذلك قتلى وجثث موتي وسفك دما وقد اخبرتكم

اني ما قدمت اليكم لاقاتلكم ولا لاخرب مدينتكم ولا جئت
الا لكي ادعوكم الى مسالمتنا والرجوع الي ما كنتم عليه من طاعتنا
وقد ظهر لكم اشفاقنا عليكم وايثارنا الخير لكم مع مخالفتكم
ايانا ومحاربتكم لنا مما لم يكن غيرنا من الامم يفعلهُ بكم ولا يريده
لكم ولعمري ان هذه السجيَّة سجيتنا ومثل هذا المذهب مذهبنا
وطريقنا مع جميع من قاومنا وخالفنا وشق العصا علينا وذلك
انا لما ظفرنا بهم احسنا اليهم وعفونا عنهم وقد علمتم ان ملككم
يوحانانيا لما حاصرهُ بختنصر ملك بابل خرج اليه مستأْمناً وسلم
نفسه وجميع اهله اليه لاشفاقه على المدينة وعلى القدس من الخراب
وعلى قومه من الهلاك فانتفع بذلك ونفع رعيته وسلم وسلموا
واما صدوقيا الملك لما لجَّ في مخالفة الملك بختنصر ولم يخرج اليه
كما اشار عليه ارميا النبي اهلك المدينة والامة والقدس ولم يسلم
فسبيلكم ان تعتبروا بهذين الملكين فتقتدوا باصوبهما فعلاً
واحمدهما عاقبة ولا تلجون في المخالفة التي قد تبين لكم مضرتها
وسوءعاقبتها بل ارجعوا الي ما كنتم عليهِ من طاعتنا اجود بكم
ونحن نبقى على افضل مما كنا عليه من الاحسان اليكم
والاشفاق عليكم وصنيع الجميل معكم وها انا اعاهدكم عهداً

نحيد اقدام الله وقدام هذا البيت واجعلهُ الشاهد عليّ وعليكم واضمن
لكم ان اطعتم بان احسن الصنيع اليكم واعفو عن جميع ما تقدَّم
منكم واعاملكم بالجميل الذي عهدتموهُ قبل ان تعصونا واعطيكم
يوسف الكاهن وجماعة من وجوه اصحابي يكونون رهاين عندكم
حتى تسكن انفسكم الى قولي وتثقوا بي و بعهدي وضماني فاقبلوا
نصحي لكم واكتفوا بما جرى عليكم وارجعوا الى ما كنتم عليه
من طاعتنا ليحسن حالكم وحال بلدكم وتعود قرابينكم وعبادتكم
الى ما كانت عليه وقد جعلت كلامي هذا حجة عليكم واعتذارا
الى الله عز وجل في امركم وكان يوسف بن كريون الكاهن
يترجم للقوم ما يقوله تيطس بلسان الروم عبرانيا ويبكي بكاءً
شديداً وينتحب انتحابا حرفا ثم قال لهم يوسف اني كنت اعجب
من خراب هذا البيت وهذه المدينة لعلمي ان مدتهما قد انتهت
لكني اعجب منكم وانتم تقراون كتاب النبي المعظم دانيال وتعلمون
ما ذكرهُ من ابطال القرابين وزوال المسحة وترون ذلك قد
صح وثبت وانتم بعد ذلك لا تخضعون لله عز وجل ولا تستسلمون
فلم يسمع الخوارج كلام تيطس ولا كلام يوسف ولا رجعوا
عما هم عليه ولا خضعوا غير ان جماعة من الكهنة ومن كبرا اليهود

خرجوا في ذلك اليوم الى تيطس فامنهم واحسن اليهم ومنع الروم من اذيتهم فلما علم الخوارج بخروجهم منعوا من بقي من اليهود من ان يخرجوا وضبطوا طرق القدس ليلا يخرج احد منهم

ذكر الحرب الاخيرة التى كانت بين اليهود والروم

قال ولما علم تيطس ان كثيرين من اليهود يريدون الخروج اليه وان الخوارج يمنعونهم من ذلك تقدم الي الموضع المنهدم من سور القدس ويوسف الكاهن معه ليعيد مخاطبة اليهود واستعطافهم فلما نظر اليهود الى يوسف بكوا بكاءً شديداً وقالوا نحن معترفون باناقد اخطأنا واسينا بعد يتنا الروم وتحققنا اشفاق الملك علينا ومايريده من سلامتنا وصلاح احوالنا ونحن نرغب في الخروج اليه ولكن لانجد السبيل الى ذلك لان هولا الخوارج قد منعونا واستولوا علينا قال فلما سمع الخوارج كلامهم تبادروا اليهم ليقتلوهم فبادر اليهم الروم ليخلصوهم وهجموا على اليهود في القدس فقاتلوهم قتالاً شديداً فانهزم الروم وهربوا الى قدس الاقدس وهو الموضع الاجل من جملة القدس فتبعهم اليهود اليه وقتلوهم فيه فلما علم تيطس بذلك صاح بيوحانان وكان داخل قدس الاقداس وقال لهُ يايوحانان اليس

في التورية مكتوب بان الغريب الذي يدخل الى هذا الموضع
الاقدس يقتل ولم يطلق لاحد الدخول اليه الا الكاهن الاكبر
وذلك في يوم واحد في السنة واما انت ايها المتعدى على ربك
والمتجاوز فرايض سيدك المخالف شريعة الهك فما اقنعك بان
تدخل الى الموضع الذى لا يجوز لك ان تدخل اليه حتى سفكت
دما الغلف الذين تبعدونهم وتأنفون منهم وتكرهونهم وتعرضون
عن التقرب اليهم ودما اليهود ايضاً الذين هم اخوتكم وقد علم
الله مني وشهد عليّ اني لا اريد اخرب هذا البيت ولكن اعمالكم
السوء هي التى تخربه واني اريد ان تطيعونا حتى لا نخرب هذا البيت
لكن نصونه ونحسن اليكم ثم ننصرف قال وان تيطس راي القوم
لا يسمعون كلامه ولا يلتفتون اليه فاستدعى من اصحابه ثلاثين
الف رجل شداد المقاتلة وامرهم ان يدخلوا الى صحن القدس
فيحاربوا اليهود واراد ان يدخل معهم فمنعهُ اصحابهُ وقالوا من
الاصوب ان تقف انت على موضع عالٍ بحيث يراك اصحابك
فتقوى قلوبهم بك ويقاتلون بحضرتك ولا تخاطر بنفسك وبنا
فقبل تيطس ما اشاروا بهِ عليهِ واتفق رايهم على أن يكبسوا اليهود
في الليل فلما علم اليهود بذلك لم يناموا في تلك الليلة فلم يتم

للروم ما ارادوا ولما كان في الغد تفرق اليهود ووقفوا على القدس
فضبطوه وحاربوا الروم واتصلت الحروب بينهم واستظهرت
اليهود على الروم فقتلوا منهم خلقا كثيرًا وابعدوهم عن القدس
قال فامر تيطس اصحابه ان يكفوا عن قتالهم ومحاربتهم لعلمه انهم
لايجدون ما ياكلون وان الجوع يفنيهم فلم يعد يجرى بين الروم
وبين اليهود حرب ولاقتال لاشياء جرت فمن ذلك ان الجوع لما
اشتد على اليهود كان قوم منهم يستقتلون ويخرجون الى اطراف
عسكر الروم في الليل فيسرقون ما وجدوا من الدواب فيا كلونهٔ
فلما علم تيطس بذلك امر ان يحرس العسكر فى الليل وكان عسكر
الروم قد انتقل في ذلك الوقت من جبل الزيتون الي المدينة وما
حولها وقد تبقت لهم في الجبل دواب ومواشي كثيرة ومعها اقوام
يحفظونها وكان تيطس قد بني في وجه باب القدس الذى على
الجبل حايطا ليامن من اليهود ان يخرجوا الي عسكره من ذلك
الباب لانهم قد خرجوا منهٔ مرات كثيرة فمضى قوم من اصحاب
الخوارج الى هذا الحايط فهدموهٔ وصعدوا على الجبل فقتلوا بعض
اوليك القوم الذين كانوا يحفظون الدواب وساقوها ووقف
بعضهم يقاتل من يمانعهم من الروم فلم يقدروا عليهم ولكنهم ظفروا

بواحد منهم فاسروهُ

وكان في جماعة اوليك اليهود رجل قصير اسمهُ يوناثان فلما راي القوم قد اسروا صاحبه غضب وتداخلته الحمية فمضى الى عسكر الروم ووقف قدامهم ثم ناداهم قايلاً من كان منكم يدل بشدة باسه ويظن انهُ شجاع جبار فيبرز اليّ فاني اصدق قولي بفعلي ويظهر عند ذلك من هو الموصوف بالمحاربة ومن هو مستحق ان يذكر بالباس والشجاعة وهل الروم الذين يستحقون ذلك ام اليهود قال فامتنع الروم من الخروج اليه لخوفهم منهُ لانهُ كان حقيرًا رديًّا قبح المنظر ذميماً جدًا فقال الروم ان ظفرنا بهِ لم يكن لنا في ذلك فخر وان ظفر بنا كان ذلك عارًا فوقفوا لذلك عنهُ فقال لهم يوناثان لقد ظهر ضعفكم وتبين عجزكم عن مقاومتنا واتضح فضل شجاعتنا وباسنا ولقد قتلنا فيكم كما تُقتل الغنم واهناكم كالعبيد والخدم حتي اردتم ان تهربوا غير مرة ولولا من معكم من الامم الغريبة منكم وكثرة الاجناس التي ليست من طوايفكم لم يكن لكم طاقة بنا ولا ثبات امام القليل منا ومع ذلك فنحن الذين ساعدناكم على انفسنا بقتلنا بعضنا بعضًا حتي فنينا وقل عددنا لما اراده الله من هلاكنا ولولا ذلك لبعد عليكم وعلي غيركم ان تغلبونا وها انا

وحدى من جملة اليهود الذين قد اضربهم الجوع وبلغ منهم الشقا
وطول الحصار فمن كان منكم واثقاً من ذاته بشجاعة ومبارزة
واقدام فليبرز اليَّ قال فبرز اليه رجل من شجعان الروم فقتلهُ
يوناثان فاغتم الروم لقتلهُ عند ذلك خرج يوناثان وتداخلهُ العجب
والكبر وجعل يشهزا بالروم ويفتخر عليهم واسرف في شتمهم
وتقريفهم واكثر من الطعن والاستخفاف بهم وباجلايهم ولم يشكر
الله عز وجل الذى منحهُ الظفر وقوّاهُ علي من حاربه ثم قال للروم
براىٍ متشامخ وراس مترفع هل بقي منكم احد يبرز اليَّ حتى اقتلهُ
ولما كرر هذا الكلام وهو ضاحك مستهزى احتد واحد من الروم
فرماه بسهم فقتلهُ وكان ذلك عقوبة البغي والتعظم والتكبر
والتهجم والتجبر اذ الحكمة تقول ان الرب يعاند المتعظمين
ولذلك ينبغي للعاقل الرصين اذا ظفر بعدوه او غلب في
احتجاجه واعتذاره وقهر خصمهُ وانتصر عليه في محاكمة الا يزهو
ويفتخر ويظن بنفسه ويعجب بشجاعته وباسه كمتكل على قوته او كواثق
ببلاغة اقواله وايجاز الفاظه وحجته ويملكه التكبر ويستولي على ذهنه
التعظم والتجبر ليلا يوافيه عند ذلك الخذلان من الله ويتخلى
عنه سبحانه بل يليق بالمرء اللبيب العاقل ان ينسب جميع ذلك

ان كان من ظفر في حرب او غلبة الي حكم الله تعالى والي نصرته
سبحانه ونجدته

قال ولما راى اليهود ان قد انهدم سور المدينة وثلموا
الروم اسوار القدس وملكوه ولم يبق شي يصدهم وراوا انهم قد
عجزوا عن محاربتهم دبروا على الروم تدبيرًا اهلكوا به جماعة منهم
وذلك انه كان بقرب القدس قصرًا اعظيما مما بناه سليمان بن
داود ثم زاد فيه ملوك البيت الثاني ورفعوا بنيانه وزادوا فيه
جوسقًا رفيعا عاليا جدًا من الخشب الجافي ووزروا ايضا جميع
حيطان القصر بالخشب فمضى اليهود الي هذا القصر فطلوا
جميع ما فيه من الخشب بالنفط الكثير والكبريت والقار ثم
اخفوا فيه رجلاً منهم وقالوا له اذا حصل الروم فوق القصر
اشعل انت فيه النار وكان للقصر باب مخفي غير الباب المعروف
يخرج منه الى موضع اخر لا يفطن به الا من يعرفه ثم ان اليهود
مضوا فى الليل الي الروم الذين في القدس فعبثوا بهم وقاتلوهم
واجتمع عليهم من الروم جماعة كثيرة فقاتلهم اليهود ساعة ثم
انهزموا قدامهم وطلعوا الي ذلك القصر فتبعهم الروم ودخلوا
في اثرهم فلم يجدوا من اليهود احدًا لانهم كانوا قد خرجوا من

الباب المخفي وحصل من الروم في القصر جماعة كثيرة وتفرقوا في القصر لينظروا ما فيهِ من الابنية ويعجبوا من حسنه ثم صعدوا الى الطبقة الثالثة واشتغلوا بطلب اليهود وبنظر القصر فخرج ذلك اليهودي الذى اختفي في القصر فاشعل النار في مواضع يعرفها فيه والروم في غفلة عن ذلك فاشتعلت النار في جوانب القصر وقويت فلما راى الروم ذلك انحدروا ليهربوا فوجدوا اليهود قد وقفوا لهم على باب القصر بالسيوف ليمنعوا من يخرج منهم واحاطت النار بالروم فلم يكن لهم ملجا ولا منجى ولا مهرب فهلكوا باجمعهم وذلك ان الخارج منهم كان يقتل بالسيف ومن يثبت في القصر صار حريقا ومن رمى نفسه من القصر هلك لان القصر كان مشرفًا شاهقا وبلغ الخبر الى تيطس فركب في عسكره وجا الى القصر فلم يقدروا على ان يطفوا النار ولا امكنهم ان يستخلصوا احدًا من اصحابهم وكان في جملة من هلك جماعه كثيره من وجوه الروم وكبرايهم فلما راي الروم ما فعلهُ اليهود باصحابهم خافوهم ولم يامنوا منهم ان يحتالوا بحيلة اخري فخرج من كان منهم في القدس وفي المدينة ورجعوا الى معسكرهم واقاموا في خيمهم وسكنهم

ذكر دخول الروم الى قدس الاقداس واحراقهم اياه بالنار

قال فلما كان بعد هذا امر تيطس اصحابه ومن قد ورد اليه من الجموع من ساير الامم ان يحوطوا بالمدينة ويحاصروها ويضيقوا على من بقي من اهلها فيكفون امرهم من غير ان يتعرضوا لمحاربتهم ففعلوا كذلك فلما طال الحصار على اليهود مات اكثر من تبقّى منهم وخرج كثير من اصحاب الخوارج الى تيطس فقبلهم ثم دخل الروم الى المدينة والى بيت الله عز وجل فملكوهُ ولم يبقَ من يمانعهم عنهُ وامنوا جميع من يخافونهُ من اليهود وكان تيطس قد اوصي اصحابه واكد عليهم الا يحرقوا القدس فقال لهُ روساء الروم انك اذا لم تحرقهُ لم تملك اليهود ولا تقهرهم لانهم لا يفترون ولا يكفون من القتال عليهِ ما دام باقيًا فاذا احرقتهُ ذهب عزهم ولم يبقَ لهم ما يقاتلون عنهُ فتنكس قلوبهم ويذلون ونامن منهم فقال لهم تيطس قد علمت ذلك لكن على ساير الاحوال لا تحرقوهُ حتى امركم بحريقه قال وكانت الطريق الي القدس الاجل لها باب عظيم مصفح بصفايح فضة وكان مغلقًا لان اليهود كانوا قد اغلقوهُ واوثقوه فجاء بعض الروم الى هذا الباب فاحرقوه لياخذوا الفضة التي عليه فلما احرقوا الباب وجدوا

الى القدس الاجل السبيل فدخلوا اليه وتوسطوهُ ثم نصبوا اصنامهم فيهِ وقربوا ذبايحهم لتيطس سيدهم ورفعوا اصنامهم بمدحه والثنا عليه واقبلوا يفترون على البيت ويتكلمون بالعظايم فلما علم من بقي من اليهود بذلك لم يصبروا فخرج منهم قوم في الليل الى الروم الذين في القدس فقتلوهم فبلغ الخبر الي تيطس فجاء في عسكره الى القدس فقتل اوليك وهرب من بقي منهم الى جبل صهيون فاقاموا فيهِ فلما كان من الغد اجتمع الروم واحرقوا باب قدس الاقداس وكانت كلها مغشّاة بصفايح الذهب فلما سقطت الابواب صرخوا صراخًا عظيما فعلم تيطس بذلك فجاءَ مسرعا الى قدس الاقداس ليمنعهم من أحراقه فلم يتم لهُ ذلك لان الناس كثروا واجتمع فيهِ خلقٌ كثير من الروم وغيرهم من الامم التي كانت تعادى اليهود وتطلب التشفى منهم فغلبوا تيطس على رايه وهو يصرخ هاتفا باعلا صوته وهو يجتهد في منعهم وقيل انهُ قتل في ذلك اليوم جماعة من اصحابه ليخرجوا الناس من القدس فما خرجوا ولا قبلوا منهُ وذلك انهم دخلوا الى القدس بعظم حنق وحدة شديدة وغيظ مفرط فخرج الامر عن يد تيطس ولم يقدر على منعهم ويقال انهُ صاح في

ذلك اليوم الى ان بحّ حلقه وانقطع صوته ولم يسمع كلامه ولما
راي قدش الاقداس وشاهد حسنه وتفرّس في عظم بهجته
ورايق جماله وكثرة زينته تحيرّ وتعجب وقال حقا ان هذا البيت
الجليل ينبغي ان يكون بيتا لله اله السما والارض ومسكن جلاله
ومحل نوره وانهُ لحق على اليهود ان يحاربوا عنهُ ويستقتلوا عليه
لقد اصابت الامم واحسنت في اعظامها لهذا البيت واجلالها له
وحملها له الهدايا والاموال وانهُ لاعظم من هيكل رومية ومن
جميع الهياكل التى شاهدناها وبلغنا خبرها والشاهد عليّ هو الله
اني لم اشا احراقه ولكن القوم فعلوا ذلك بافراط شرهم وعظم
الجاجهم قال ثم اشتعلت النار في بيت المقدس واحرقت
وقويت علي جميعه وكان من بقي من الكهنة لما علموا بدخول
الروم الي قدس الاقداس ليحرقوهُ جاوا مستقتلين فحاربوا الروم
الى ان لم يبقَ لهم حيلة ولا قدرة على محاربتهم فلما غلبهم الامر
وراوا ان البيت قد احترق قالوا بعد احتراق قدس الله مالنا
وللحياة واي عيش يطيب لنا بعده فزجوا انفسهم في النار
فاحترقوا باجمعهم قال وكان حريق القدس في مثل اليوم
الذي احرق فيه الكلدانيون البيت الاول قال ولما علم اليهود

الذين تبقوا في المدينة بان قدس الاقداس قد احترق مضوا الى جميع ما في المدينة من القصور الجليلة والمنازل الحسنة والابواب الملوكيه فاحرقوا كل ذلك مع جميع ما كان فيها من الذخاير الكثيرة والعدد والاموال قال ولما كان في غد هذا اليوم الذى احرق فيهِ القدس ظهر رجل في اليهود يدعي النبوة واخذ يقول ان هذا البيت يبني كما كان من غير ان يمارس الادميون شيا من بنايته لكن يبني بقدرة الله عز وجل فدوموا على ما انتم عليه من مقارعة الروم والامتناع من طاعتهم ولما سمع كلامه من بقى من اليهود اجتمعوا فقاتلوا الروم فظفر الروم بهم فقتلوهم باسرهم وقتلوا ايضا جمعا كبيرًا من اعوام اليهود ممن كانوا قبل ذلك قد رحموهم واحسنوا اليهم

ذكر اشياء جرت قبل خراب القدس دالت على خرابه

قيل كان قد ظهر على القدس قبل مجي سوسباسيانوس كوكب عظيم لهُ نور قوي شديد وكان القدس يضي بذلك الكوكب قريب من ضو النهار فاقام بذلك مدة سبعة ايام عيد الفصح ثم غاب ففرح بهِ اعوام الناس وجهلاوهم واغتم لهُ العلماء واهل الفضل والمعرفة قيل وكانوا قد احضروا الي القدس في

ذلك العيد بقرة ليقربوا بها فلما طرحوا ليذبحوها ولدت خروفاً
فاستشنعهُ الناس وانكروهُ قال ومن ذلك ان باب القدس الشرقي
كان باباً عظيما ثقيلاً ولم يكن يغلقهُ ويفتحهُ الا جماعة من الرجال
فلما كان في تلك الايام كانوا يجدونهُ كل يوم مفتوحًا فكان الجهال
يفرحون بذلك واهل العلم يغتمون لهُ قال وظهر بعد ذلك على
بيت المقدس في الهوا صورة وجه انسان شديد الحسن عظيم
الجمال والبها ساطع النور والضيا وظهر في الجو ايضا في تلك
الايام صور ركبان من نار على خيل من نار يطيرون في الهوا قريب
من الارض وكان ذلك يرى علي بيت المقدس وعلى جميع ارض
اليهود قال وبعد ذلك سمعت الكهنة في القدس ليلة عيد العنصرة
حس جماعةٍ كثيرة يذهبون ويجيبون ويمشون ويذهبون في الهيكل
من غير ان يروا شخص احد بل كانوا يسمعون حسهم فقط ثم
كانوا يسمعون صوتا عظيما فقط امضي بنا حتى نرحل من هذا
البيت قيل وقبل خراب القدس باربع سنين ظهر في المدينة
انسان من بعض العامة كان يمشي بين الناس كالمجنون ويصيح
باعلا صوته قايلاً صوتٌ من المشرق صوتٌ من المغرب صوتٌ من
اربع جهات العالم صوتٌ على اورشليم صوتٌ على الهيكل صوت

124

على الحصن صوت على العروس صوت على جميع الناس الذين
باورشليم قال وكان الناس يمقتونهُ وينتهرونه ويستثقلونهُ ويتصورنهُ
بصورة متوسوس ولم يكن يفتر عن هذا فلم يزل على ذلك حتى احاط
الروم بالمدينة فلما كان في بعض الايام والحرب على المدينة ابتدا
ان يتكلم بما كان يتكلم بهِ على عادته فرمى بحجر على هامته فمات قال
ووجد حجر قديم في ذلك الزمان مكتوب عليه اذا كمل بنيان القدس
وصار مربعا عند ذلك يخرب فلما كان بعد ذلك هدم تيطس
البنيان الذى كان الى جانب القدس المسمي بالعبرانية انطونيا فانهُ
تم سور القدس بهدمه وذلك ان اليهود بادروا وبنوه بنيانا
جيداً واضافوهُ الى جملة القدس فصار مربعا وكانوا قد نسوا ذلك
المكتوب الذى وجدوهُ على الحجر فلما راوا القدس قد تربع ذكروا
ذلك قال ووجدوا ايضا في جانب حيط قدس الاقداس حجراً
مكتوبا عليه اذا صار الهيكل مربعا يملك على اسرائيل ملك ويستولى
على ساير الارض فقال بعض الناس هو ملك اسرائيل وقالت
الحكما والكهنة بل هو ملك الروم

قال ثم ان شمعون ويوحانان راسلا تيطس يطلبان منهُ
الامان فارسل تيطس يقول لهما قد طلبت هذا منكما واجتهدت

فيهِ لرحمتي على الناس الذين كانوا يتضورون من الجوع فلم تجيبا الي الصلح ولا رحمتما قومكما ولا رقَّت جوارحكما لمساكين شعبكما لكنكما لججتما في الشرحتى اخربتما المدينة والقدس الجليل واهلكتما الامة وليس لكما الان فايدة في الحيوة ولا عذرٌ لي في بقايكما ثم ان تيطس اغلظ لهما في القول ثم قال ان من يطلب الامان ينبغي ان يلقي عنهُ سلاحه ونستأسره فان كنتما صادقين فالقيا سلاحكما واستاسرا واحضرا لدىَّ في شكل المساكين المساقين الى السبي فارسلا اليه اننا كنا قد حلفنا قديما اننا لا نذعن للروم ولا ندخل في طاعتك والذي نريده الان منك هوان تطلق لنا الخروج حتى نمضي من هذه البلاد وندخل في البرية فقال لهما تيطس قد حصلتما في يدنا وتحت سلطاننا وانتما تظنان اننا لم نملككما الى هذه الغاية ولذلك تتكلمان بهذا الكلام فبالحق انكما لشقيان الحظ وسبب ذلك كان سوء ارايكما ومع ذلك فقد كنتما حلفتما انكما تبدلان مهجكما وتستقتلان على بيت الهكما فابقيا اذًا على عهدكما ولا تحنثا في يمينكما ولا تكذبا في قسمكما ولا تطلبا الحيوة بعد خرابه فاقام يوحانان وشمعون مكانهما وكانا في جبل

صهيون ولم يخرجا الي تيطس قال وخرج رجل اسمه رارخ ومعه بنو الملك واهله وجماعة من جملة يهود المدينة فقبلهم تيطس واحسن اليهم فلما علم يوحانان وشمعون بذلك سارا الى منازل هولاء المذكورين فاحرقاها بالنار ليلا ياخذ الروم ما فيها ثم ان يوحانان وشمعون انحدرا ليلاً من جبل صهيون الى القدس ومعهما قوم من اصحابهما فقتلوا قايدين للروم كان تيطس وكلهما بحفظ القدس فغضب تيطس من ذلك وامر بقتل من بقي في المدينة من اليهود فقتل خلقٌ لا يحصي عددهم الا الله سبحانه فلما راي من كانوا مع شمعون من اهل الروم ان الروم قد قتلوا من كانوا استبقوهُ من اليهود ارسلوا الى تيطس يطلبون منه الامان فلما علم شمعون بذلك قتل روساهم وكبراهم ولما هرب الباقون الي تيطس امنهم واحسن اليهم ومنع من قتل اليهود ثم هرب يوحانان وشمعون من الجبل الى موضع استترا فيه فلما علم من كان مقيما معهما انهما قد هربا خرجوا باجمعهم الى تيطس فامنهم واحسن اليهم واستولي حينئذ تيطس علي جميع المدينة فملكها وهدم سور صهيون

قال ثم ان يوحانان طال عليه الاستتار واشتد به الجوع

فخرج من الموضع الذى كان فيهِ مستترًا وقد لبس لباس المملك وزيه وسار الى عسكر الروم فوقف عند قوم منهم فلما راوهُ هابوهُ واتقوهُ فلم يقدروا عليه فقال لهم اذهبوا بي الى عريفكم لاخاطبه فجاء اليهِ عريف القوم فقال لهُ من انت فقال انا يوحانان واريد ان تمضي بي الى سيدك فمضي بهِ العريف الي تيطس فلما راهُ تيطس اغلظ لهُ في القول وشتمهُ وامر بان يقيد ويشهر في العسكر قال وخرج هوشع الكاهن الي تيطس ومعهُ مناراتان ومايدتان من ذهب والات كثيرة للقدس جميعها ذهب خالص فسلمها الي تيطس وقبض تيطس على فنحاس صاحب الخزاين وطالبه بما تحت يده من الاموال فسلم اليه خزاين كثيرة مملوة من ذهب وفضة وجواهر وثياب مرتفعة من ملابس الكهنة وطيوب كثيرة قال ثم رحل تيطس عن بيت المقدس متوجهًا الى رومية ومعه الغنايم والاموال التى اخذها من بلاد اليهود والسبي الذي سباهُ منهم سوى الذين امنهم

عدد ما احصى من الموتي الذين ماتوا من اليهود فى مدة الحصار وعدد من قتل وسبى منهم غير من امنه تيطس

قال صاحب الكتاب ذكر مناحيم الموكل باحد ابواب المدينة

انهُ كان احصى من اخرج ميتاً من الباب الذى كان موكلاً بهِ فكان عددهم ماية الف وخمسة وعشرون الفاً وثمانماية قال وذكر روساء اليهود الذين استامنوا الروم انهم احصوا الموتي الذين اخرجوا من جميع الابواب ليدفنوا في مدة الحصار والحروب التى كانت في المدينة فكان عددهم ستماية الف هولاء غير من طرح في الابار وسوى خلق كثير ماتوا في الشوارع والازقة والمنازل ولم يكن لهم من يدفنهم وغير من طرح الي خارج الحصن ممن مات وقتل وغير ممن قتل في القدس ولم يُدفن وذكر يوسبوس ان جملة الذين احصاهم ممن قتلهُ الروم في الحرب وغيرهِ وممن قتلهُ الخوارج في مدة تغلبهم على المدينة كان الف الف ومابة انسان وكان جملة من حصل في السبي مع تيطس غير من امنهُ تسعة وتسعين الف انسان ماعدا اصحاب الخوارج الذين اكثرهم هلكوا في الحرب التى كانت بينهم وبين الروم وعدا من بقي منهم واسرهُ تيطس فلما رحل تيطس عن بيت المقدس اخذهم معهُ في جملة السبي الذى سباهُ من اليهود فكان فى كل منزلة ينزل بها يلقى منهم للسباع التى معهُ الى ان اهلك جميهم ولم يبقَ منهم ولا واحد

خبر العازر بن عنانى الخارجى وما كان من امره

قد كنا ذكرنا فيما سلف ان العازر بن عنانى الخارجى لما راي ما فعله شمعون الخارجى من قتل امثاي الكاهن واولاده بالقتل الجاير وقتله ايضا غير هولاء من اهل الخير والسلامة علم ان عاقبة ذلك توول الي خراب القدس وتنتهى الي ابادة الامة فانتزح عن المدينة الجليلة واقام في بعض المواضع الى ان رحل تيطس وعسكره من بيت المقدس فلما بعدوا عنها ظهر العازر ومضى حينئذٍ الى قريه تسمى ماصيو فعمر سورها وشيد حصنها واوثقها واقام بها فسمع بهِ جماعة من القوم المتفرقين الذين تبقوا من العبرانيين فاجتمعوا اليه واقاموا معهُ فاتصل خبرهم بتيطس وهو وقتيذٍ بانطاكية فخشى ان يقوى امرهم ويطول باعهم فوجه من قواده قايداً اليهم يسمى سلوانس فجا القايد الى حصن ماصيو في عسكر كبير ونزل عليه وحاصره الى ان فتح الموضع فخرج اليه العازر وحارب اصحابه ومنعهُ من الدخول الى ماصيو ثم ادركهم الليل ولم تدخل الروم الى الحصن فلما كان في تلك الليلة جمع العازر اليهود الذين معهُ في الحصن وقد كان القوم حايرين لايدرون ماذا يصنعون وارادوا ان

يطلبوا من الروم الامان ويخرجوا اليهم ويقبلوا امرهم ثم افتكروا هل ان الروم يجيبون الى ذلك ويوفوا بهِ ويامنوهم على الحقيقة بعد فتحهم القرية ام لا فلما ضاقت بهم الحيلة ولم يعلموا على ماذا يعولون وقف العازر في وسطهم وخاطبهم قايلاً اسمعوا مني ياذرية ابرهيم وانصتوا الي ما اقولهُ يابني الانبياء انكم طالما قهرتم الامم وغلبتم الممالك وظفرتم بالاعدا وكانت لكم الاثار الجميلة في الحروب اما الان فقد انعكست الاحوال وذهب ما كان لنا من النجاح والاقبال فغلبتنا اعداونا واستولت علينا الغربا عن جنسنا وذلك بخذلان الله لنا وسخطه علينا لما عصيناه واغضبناه وتركنا شريعته وخالفنا طاعته ولم نتمسك بجانبه واعلموا ايها الاخوة ان لكل امر مدة اليها ينتهي وهكذا تكون اوقات المكافحة والحروب وممارس ذلك تارة غالب وتارة مغلوب وعلى ذلك جرى امر الدنيا وليس في الهزيمة عار ولا عيب على المنهزمين ولا فخر في الظفر للغالبين لان الاحوال تنتقل وتتغير فكم منهزم مقهور قد رجع مويداً منصور وليس العار والعيب الا في الجبن والفشل وضعف القلب وقلة الصبر عند النوايب والقلق ومفاجاة المصائب وسرعة الخضوع عند النكبة والاستسلام

عند المحنة واما الشجاع فهو الذى يصبر على المكروه واذا حصل
في الضر لا يغلب الجزع على رايه وعقله وقد علمتم اننا قد اجتهدنا
في محاربة اعداينا ومقاومتهم الى ان غلبنا الامر ولم تبقَ لنا حيلة
والان فقد فتحوا حصننا هذا وملكوا بلدنا وقد يئسنا من ان نغلبهم
وانقطع رجاونا من الظفر بهم ومن ان ندفعهم عن انفسنا
وانتم الان بين امرين اما ان ترغبوا في الحيوة وتكرهوا الموت
وتسلموا انفسكم الي اعدايكم وتحصلوا اسرى تحت ايديهم وتحت
حكمهم وتفارقون ما انتم عليه من العزة وترضون بالذل
والهوان وتنسبون بعد الشجاعة والباس الي الضعف والوهن
والعجز واما ان تزهدوا في البقا وتشجعوا علي الموت فتكونون بذلك
قد اكملتم الشجاعة وعزة النفس وقوة القلب والانفة مما يشين
وتخلصوا من ازلال الاعدا وتسلطهم عليكم وتحكمهم فيكم
واعلموا ان الموت في العز اخير من الحياة في الذل ومن امات
نفسه كريما فقد احياها ومن رغب لنفسه في الحيوة مع الذل
والهوان فقد اماتها واهلكها فلا ترغبوا اذًا في البقا بعد عزكم
وزوال اقبالكم وفقد سعادتكم ولا تشفقوا علي ذهاب اجسادكم
من الموت ولا ترثوا لاولادكم من شرب كاس المنون علي الحالة

الجميلة فان الموت على الوجه المحمود يعدّ حيوة كما ان الحيوة
على صفة مذمومة تدعى موتًا وقد علمتم ان اب الابا ابراهيم لما
اخذ ابنهُ الوحيد ليقدمه لله عزوجل لم يحصل في وهمه انهُ يميته بل
اعتقد انهُ يحييه اذ اقامهُ طاعة لله ولذلك سارع ولم يتوقف
والملك البار يوشيا لما راي ما عليه اهل زمانه من كثرة الخطايا
وارتكاب المعاصي كرِهَ البقا معهم واختار مفارقتهم ولذلك زهد في
حيوة الدنيا ورغب في النور الاعظم فبذل نفسه الي الموت ولم
يجزع من القتل وتعرض لمحاربة فرعون حتي قتل واستحق بذلك
ان يسمي شجاعا جبارًا لانهُ قدم على الموت بغير فزع ولم تمنعه من
ذلك محبة الدنيا والرغبة في الحيوة وليس على الاخيار نقص
ولا عيب اذا قتلهم الاشرار والعصاة لان يوشيا الملك كان خيرًا
صالحًا وقتلهُ فرعون وكان خاطيًا غاصبًا وذلك ان الدنيا هى
نصيب فرعون وامثاله من العصاة ولا حظا لهم بعدها في نعيم
الاخرة ونصيب يوشيا ومن ضاهاه وشاكله من القوم الصالحين
فهو ما بعد الدنيا من النور الاعظم حيث السعادة الكلية والبقا
الدايم وقد علمنا ان الاخيار لا ياخذون اجرهم في هذه الدنيا لان
الدنيا هى دار عمل واما الاخرة فهي دار جزا والدنيا هى دار

تعب ونصب بغير راحة والاخرة هي دار راحة بغير تعب خلواً من كل عنا ونصب وكل خير يناله الانسان في الدنيا فهو ممزوج بكثرة احزان مشوب بما يكدرهُ من نوايب الزمان منغصا بما يفاجيه من طوارق الحدثان واما ما تصير اليه في الاخرة الابرار والقوم الاخيار لاسيما النجبا السعدا المقارعين القبايل الغربا المحاربين الاعدا فهو هني شهي لا كدور تمازجه ولا تنغيص يدانيه ويقاربه فيجب على من عرف نقص الدنيا وفضل الاخرة ان يوثر الافضل على الاحسن ويشتاق الراهن الداهر على الحاضر الداثر ويرغب فيما يبقى ويزهد فيما يفني ويسارع الى حيث السعادة الدايمة ولا يسر بطول العمر في الدنيا وليس لهُ في ذلك حظ لان المرء كلما طال عمره في الدنيا كثرت همومه وتزايدت احزانه وغمومه وطال شقاوه واتصل تعبه وعناوه واذا قصر عمره خلص من الهموم وتعجل الى الراحة وحصل لهُ السرور العظيم في دار الفرج ومثوى النعيم وقد علمتم ايها الاخوة ان هابيل لم يطل عمره في الدنيا لان قاين اخاهُ قتلهُ فما ضرهُ قصر العمر شيا لانهُ صار الى ثواب الاخرة واستراح من شقا الدنيا واما قاين اخوه فقد عاش بعدهُ طويلاً الا انهُ لم ينتفع بطول عمره لانهُ كان

تايهًا فزعانًا مرتعشا مشرّدًا مشتتا كافة ايام حياته ثم مات بعد ذلك فصار الي عقاب الاخرة وكذلك نحن لا ننتفع بالحيوة اذا عشنا عيشًا ذليلاً ولا يضربنا الموت اذا كنا نتخلص في العاجل مما نكرهه ونصير الى ما نرجو من ثواب الاخرة ونعيمها وقد علمنا ان النفوس مأسورة في هذا الجسد باللحم والعروق والعظام فهذه الاشيا للنفوس كالقيود والاغلال • وانما ربطت النفس بالجسد لتدبره وتصلح احواله وتسوس اموره ما دامت ساكنة فيه والجسد لا يعلم ما هى النفس ولا ينظرها ولا يدرى متي حصلت فيه ولا متي تفارقه لانها مستترة وهى كالغريبة فيه وهو بعيد عن شبهها لان النفس شريفة رفيعة المحل والجسد ترابي ارضي لا يفيد شيا خلوا منها والنفس كاينة في الجسد كالاسيرة في السجن وليس تامن الوقوع في الزلل والسقوط في الخطا والهبوط في المعاصى لان الجسد يحركها الى كل ذلك ويزين لها ما قبح من الافعال ويحسن امامها ذميم الافعال فان اطاعته فيما يدعوها اليه كان ذلك سبب موتها وهلاكها في دار الاخرة وان عصته وخالفته نجت من الخطايا والماثم وصارت بعد الموت الى الحيوة والنعيم الدايم ولذلك قد تفرح النفس الصالحة بخروجها من الجسد

كما يفرح الاسير اذا خلص من الاسر والمحبوس اذا اطلق من الحبس والعبد اذا اعتق من العبودية المرة والمملكة الغاصبة المستمرة وذلك ان النفس في مدة ارتباطها بالجسد بمنزلة العبد المملوك بيد الملك الجاير وهي تشبه عبداً لملك عظيم امرهُ سيده ان يخدم اخر غريبا الي مدة معلومة فمضى العبد وخدم ذلك الرجل كما امرهُ الملك فلما كملت المدة رجع الى مولاه وهو مسرور برجوعهِ الى موضع مستقره الجليل عند الملك وخلاصه من خدمة الغريب الجاير لانهُ علم انهُ لم يبقى لهُ عليه سلطان بمفارقته اياه ورجوعه الى الملك سيده وكذلك انفسنا اسيرة لعبودية هذه الاجساد وخدمة ما تدعو اليه الشهوات في مدة العمر فاذا فارقت الاجساد بالموت عادت للنور الذى هو مستقرها ومحلها ودار امنها وسعادتها ولذلك حكما الهند لا يندبون موتاهم ولا ينوحون على من فقد منهم وينكرون البكا وينهون عنه لمعرفتهم ان النفوس استراحت بموت الجسد لانها سارت من العبودية الى العتق والحرية ومن التعب والنصب الي النعيم والراحة وانتقلت من العالم الادنى الي العالم الاشرف الاعلى

فاذا كان هولا الامم الذين لا يعرفون الله عز وجل حق المعرفة

لا يكرهون الموت لما طمعت انفسهم ان يصيروا بعده الي ما هو
اخير وافضل من الدنيا فنحن اولى بذلك منهم اذ كنا مومنين
بالله سبحانه تعالى ونيقننا فضل الاخرة على الدنيا ولا نشك فيها
عند الله سبحانه من خير الجزا وجزيل الثواب لمن اطاعه واتقاه
فان كنتم ترغبون في حيوة الدنيا وتوثرون ان تستامنوا للروم في
هذا الوقت وتقبلون حكمهم على انفسكم فقد كان الاولي بكم ان
تفعلوا ذلك عندما اشار بهِ عليكم اغريباس الملك بالا تعصوا الروم
واعلمكم بانكم ليس تقوون عليهم ولا انتم ممن يستطيع مقاومتهم فما
قبلتم منه بل اظهرتم الخلاف عليهم وقتلتم اصحابهم واجلبتم على
انفسكم البلا العظيم ثم ابيتم ان تستامنوا الى تيطس لما دعاكم الي
طاعته وبذل لكم الامان وضمن لكم الاحسان ووعدكم بالجميل
ولو اطعتموه لم يكن عليكم بذلك نقصٌ ولا عيب لانه ابن ملكٌ
كبير الا انكم لم ترغبوا ذلك بل امتنعتم عن طاعته وابيتم الاذعان
لهُ حتى اخرب البلاد واحرق القدس الجليل واهلك الامة وكيف
ترضون الان ان تطيعوا غيرهُ وتذلوا لهُ وتنزلوا في حكمهِ واية
فايده لكم في البقا بعد ذهاب عزكم وهلاك جموعكم وخراب
ارضكم وقد تبقى منكم عددٌ قليل منفردين كالمطر على راس

الجبل العالى الذى تضربهُ الرياح من كل جانب ومع ذلك لا
تعلمون هل يامنكم هذا القايد ام لا واستم على ثقة ٍان هو امنكم
ان يغدر بكم فترون بانفسكم ماتكرهون وتنظرون اولادكم يتعذبون
وهم يصرخون اليكم ويستغيثون بكم فلا تستطيعون ان تجيبوهم ولا
يمكنكم ان تخلصوهم وتشاهدون نساكم وبناتكم مع الغلف الانجاس
والكفرة الارجاس يفسقون بهن ّولا تقدرون على اعانتهن وتكونون
انتم بالاغلال والقيود وليس لكم في انفسكم حيلة واية حيوة
تطيب مع هذا البلا العظيم وكيف يرغب في البقا ويوثر الحيوة
من هو متوقع الحصول في هذه المكاره القادحة وقد ايقن في وقوعه
تحت هذه النوايب المبرحة وحينيذٍ تقولون ليتنا متنا ولم نشاهد
ماشاهدناهُ والان فاذ قد بلغنا الي هذا المبلغ فالموت خير لنا من
ان نسلم انفسنا للروم اعداينا حتى لا نراهم يقتسموننا ويتوزعون
اولادنا كالغنم ويستخدموننا كالعبيد والخدم بل الاولي بنا ان نمنعهم
من هذة الغنيمة ونصدهم عن هذه الشماتة الذميمة العظيمة وذلك
بان نجتمع ونتشجع على قتل اولادنا ونسابنا وانفسنا ولا نكره الموت
ولا ننفر منهُ فاننا ورثناهُ بسبب معصيتنا في ابتدا خلقتنا واليه مصيرنا
ومآلنا فاذا كان ولا بد منهُ فموتنا في العز والكرامة افضل لنا من

ان نرى في انفسنا واحبابنا ما نكره ثم نموت بعد ذلك فلنعمل على ان نسخى بانفسنا في هذه الحيوة الفانية ولا نضرو نشح بها كشئ كريم بل سبيلنا ان نستسهل الموت ونسارع اليه ولا نكرهه لنصون شيوخنا عن الاسر واولادنا عن السبي المر ولا نبذل اولاد مدينة قدس الله وفروع جبله الطاهر والمتنشيين في شريعته للاعدا الطمسين بل نقتلهم نحن قبل ان يظفروا بهم فان ذلك يكون لنا بمنزلة القربان المرضي المقبول عند عزوجل فاذا قتلناهم وامنا منهم خرجنا بعد ذلك فقاتلنا اعداينا الى ان نقتل كلنا فنهلك في عزنا ونذهب في كرامتنا ويكون الذكر الجميل على طول الزمان باقياً لنا

قال فلما سمع القوم كلام العازر قبلوه واركنوا اليه وعولوا جميعهم على العمل به ثم جمعوا نساهم واولادهم فعانقوهم وقبلوهم وقالوا لهم اى شي احب اليكم ان تموتوا في ارض مرباكم ومولدكم وبلد اباءكم وموعد اجدادكم وفي عزكم وعلى دينكم او تموتوا مع احب الناس اليكم في السبي بيد الاعدا فتهلكوا في غير اهل دينكم بعد ان تروا في انفسكم ما تكرهون قال فاختاروا باجمعهم الموت في مواطنهم وارض بلادهم واقبلوا كافة ليلتهم ينوحون ويبكون ويودع بعضهم بعضا بانتحاب وعويل شديد وزفرات حاسرة فلما

كان اخر الليل اخذ جميعهم نساءهم واولادهم صغيرًا كان او كبيرًا فقتلوهم عن اخرهم وطرحوهم في الابار ورموا عليهم التراب ثم خرجوا بعد ذلك الى عسكر الروم وهم مستقتلون فلم يزالوا يحاربوهم الي ان قتلوا جميعا بعد ما افنوا من الروم عدة وافرة وانصرف هولاى القوم من الدنيا وهم يعتقدون انهم قد اصابوا فيما فعلوا ويرون انهم قد بذلوا انفسهم في طاعة ربهم والحماية لدينهم اذ لم تظفر الاعدا بهم ولم ياسروا واحدًا منهم وهكذا كان جهادهم وكفاحهم وعلى هذا الوجه كان تصرفهم ومنصرفهم والله العالم وحده الخبير بمفرده الجايل على انفراد قلوبهم بمكافاتهم ومجازاتهم في منقلبهم ودار مسرتهم . ونساله تعالى حسن النهاية وحميد العاقبة والستر الجميل والمسامحة والعفو بالغفران الجزيل بجوده ولطفه

قال الفقير اليه تعالى يوسف بن فارس الشالفون هذا اخر ما اردت تحريره في هذه النبذة التي انتخبتها من تاريخ يوسيفوس بن كربون الواصف للاخبار بصدق الرواية راجيًا من ذوي الخبرة في هذا الفن غض النظر عما يرون بها من الخلل اذ انني لم اضع فيها الا ما وجدته في احدى النسخ القديمة التي اعتنيت بضبطها وترتيبها مومِّلًا ان يكون بها بعض الفايدة للمطالعين

هذا واننى اعد حضرة المشتركين بتقديم رواية امير جزيرة مونتوكريستو الشهيرة LE COMTE DE MONTE-CRISTO تاليف موسيو اسكندر ديماس المتضمنة الاخبار العجيبة والروايات الغريبة التى تحلو مطالعتها للقارى فانه حاصل الاهتمام بترجمتها وتعريبها بالدقة على قدر الامكان وساقسمها الى اجزاء مرتبة حسب اللزوم ولم اباشر بها الا بعد تكرار الطلب من جمهور وافر من المشتركين اذ ان المقصود فى جميع ذلك هو انشراح خواطرهم من اعمال هذه الشراكة الادبية وعلى المولى الاتكال فى كافة الاحوال

9 JY 68